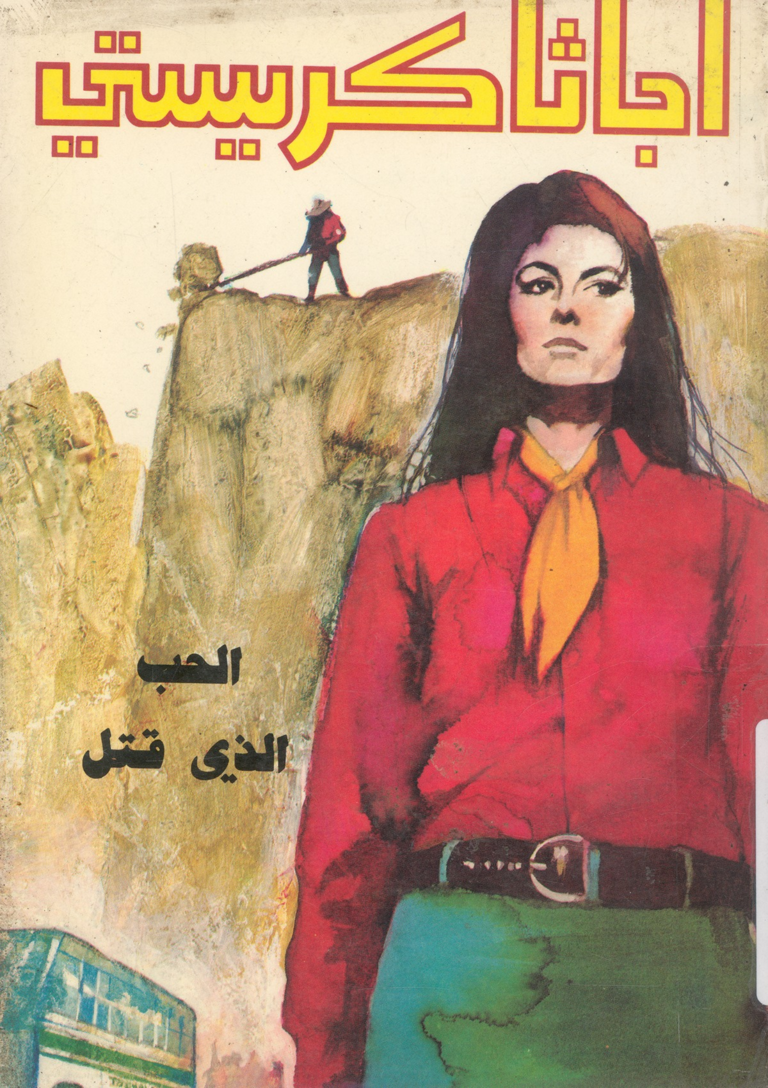

اجاثا كريستي
الحب
الذي قتل

الحب الذي قتل

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

الحب الذي قتل

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

الناشـــر :

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب ١١/٨٤٩٢ بيروت ـ لبنان

تلكس MUSIC 45328 LE

الغلاف

بريشة الفنان

عبد العال

الحبّ الذي قتل

الفصل الأول

البداية

اعتادت مس «جين ماربل» أن تقرأ جريدتها الثانية بعد الظهر.

كان موزع الصحف يحمل إليها جريدتين كل صباح، فإذا جاء في الوقت المناسب قرأت الجريدة الأولى وهي ترتشف قدحها المبكر من الشاي. ولكن الموزّع كان معروفاً باضطراب مواعيده، وكثيراً ما كان يحل محلّه موزّع جديد، أو بديل مؤقت له. ولكلّ موزّع خط سيره الخاص، الذي يعتقد أنه يجنّبه ملالة (الروتين). ولكن العملاء الذين تعودوا قراءة الصحف في وقت مبكّر للإلمام بالأنباء الهامة والمثيرة قبل، أن يستقلّوا الأوتوبيس أو القطار أو غيرهما من وسائل المواصلات إلى مقار أعمالهم.. يضايقهم أن تصل الصحف متأخّرة، أمّا العجائز من نساء قرية «سانت ماري ميد»، فكنّ يؤثرن قراءة الصحف على مهلٍ وهنّ يتناولن طعام الإفطار.

وفي اليوم الذي نحنٍ بصدده، تناولت مس «ماربل» طعام الغداء وبعد أن غفت قليلاً في المقعد الذي ابتاعته خصّيصاً ليريح ظهرها من آلام الروماتيزم أخذت تتصفّح جريدة «التايمز»..

كان من بواعث ضيقها أن الجريدة لم تعد كالعهد بها، ففيها

مضى كان القارىء يعرف أين يجد المقال أو الموضوع الذي يهمّه. أمّا الآن فقد تخلّت الجريدة عن هذا التقليد وخصّصت صفحتين أو أكثر للرحلات واهتمّت بإبراز أنباء الرياضة.. أمّا أنباء المواليد والزواج والوفيّات التي كانت فيما مضى أوّل ما يلفت نظر مس «ماربل» لوجودها في مكانٍ واضح فقد تنقّلت في صفحات مختلفة ثمّ استقرّت في النهاية في الصفحة الأخيرة.

وبدأت مس «ماربل» بقراءة الأنباء الرئيسيّة بالصفحة الأولى.. ولم يستغرق ذلك وقتاً طويلاً، فقد كانت هي نفس الأنباء التي قرأتها في الصباح مع فارقٍ واحد هو أنّها صبغت في أسلوبٍ أكثر رصانة.

وبعد أن ألقت نظرة سريعة على محتويات العدد، انتقلت مباشرة إلى الصفحة الأخيرة، حيث أنباء المواليد والزواج والوفيّات.

وفكّرت، كما طالما فكّرت من قبل كلّما مرّت ببصرها على هذه الصفحة:

ـ من المحزن حقاً ألّا يكون هناك الآن ما يثير اهتمامي سوى أنباء الوفيّات..

وشرعت في قراءة أسماء المتوفّين بمزيد من العناية، وكانت مرتبة ترتيباً أبجديّاً:

«أنجوباسترو».. **«أردن»**.. **«بارتون»**.. **«بورجفايسر»**. (يا له من اسمٍ ألماني..) **«كاربنتر»**.. **«كانتريل»**. (**«كانتريل»**.. **«إليزابيت كانتريل»**.. في الخامسة والثمانين من عمرها.. يا إلهي.. كنت أظنّ أنّها توفّيت منذ وقتٍ طويل.. من كان يظنّ أنّها عاشت حتى أمس.. رغم هزالها وضعف بنيتها).. **«رادلي»**.. **«رافيل»**.. (**«رافيل»**..؟ **«جيسون رافيل»**..؟ إنّني أعرف هذا الاسم).

ونحت الجريدة جانباً، وحاولت أن تذكر أين سمعت اسم **«رافيل»**..

قالت لنفسها:

ـ إنّه اسم مألوف.. وسأذكر صاحبه حتماً. وأرسلت بصرها عبر النافذة إلى الحديقة.. هذه الحديقة التي منحتها كثيراً من المتعة.. وكلّفتها كثيراً من الجهد والعمل الشاق سنوات طويلة. إلى أن حظرها الأطباء أن تعمل فيها..

لقد حاولت مرة أن تقاوم هذا الحظر، ولكنّها وجدت في النهاية أنّ من الأفضل لها أن ترضخ لنصيحة الأطباء..

تنهّدت وتناولت حقيبة التطريز، وأخرجت منها (جاكيت) من الصوف لطفل صغير، ينقصها الكمّان..

إنّ حياكة كمّين متشابهين عمل مملّ.. ولكن لا بأس.. إنّ منظر الصوف الوردي يبعث على البهجة.. صبراً.. بماذا يذكّرها هذا اللون الوردي..؟.. نعم.. نعم.. إنّه يذكّرها بذلك الاسم الذي قرأته في الجريدة.

صوف وردي.. وبحر أزرق.. وشاطىء رملي.. وشمس مشرقة..

وهي تحيك بإبرتها.. ومستر «رافيل»..

طبعاً.. طبعاً.. لقد تذكّرت الآن..

كان ذلك في جزيرة «سان أونوريه» بالبحر «الكاريبي».. خلال الرحلة الممتعة التي هيّأها لها «ريموند» ابن أخيها..

إنّها تذكر جيداً عبارة «جوان»، زوجة «ريموند»، حين قالت لها قبيل الرحلة:

ـ لا تحاولي الاهتمام بجرائم القتل خلال رحلتك يا عمتاه.. إنّ ذلك يؤذي صحتك.

ولم يكن في نيّتها أن تهتمّ بأية جرائم.. ولكنّ ذلك حدث رغم إرادتها... ووقتئذ: عرفت مستر «رافيل». وسكرتيرته مسز

«والترز». . «إستر والترز». . وتابعه المدعو «جاكسون». .

إذن فقد مات مستر «رافيل» المسكين. .

لقد كان يعلم أنّه سيموت قريباً. . إنّه قال لها ذلك. . ويبدو أنّه عاش أطول ممّا توقّع الأطباء. .

كان رجلاً قوي الإرادة، عنيداً. . وعلى جانبٍ كبير من الثراء.

وراحت مس «ماربل» تعمل بإبرتها وتفكّر في مستر «رافيل» وتحاول أن تذكر عنه كل ما تسعفها به ذاكرتها.

ولم يكن مستر «رافيل» من أولئك الذين يسهل نسيانهم.

كان رجلاً صعب المراس، فظّاً في بعض الأحيان، غنيًّا جداً. .

وكانت سكرتيرته وتابعه ـ وهو في ذات الوقت مدلّك متمرّس ـ يرافقانه أينما ذهب. . إنّه كان قعيداً. وبحاجة إلى معونتهما. .

وتساءلت مس «ماربل»، ترى هل ظلّ «جاكسون» مع سيده إلى آخر لحظة. .؟

ربّما لا. .

فقد كان مستر «رافيل» مولعاً بالتغيير والتعديل. . وكان سريع التعب من الناس ووجوههم. . ولكنّه كان نعم الحليف. .

لقد عرفت ذلك بنفسها خلال الفترة القصيرة المثيرة التي عملا فيها معاً. .

وتذكّرت مس «ماربل»، كيف انطلقت تعدو تحت جنح الظلام حتى وصلت إليه. . وكيف ضحك حين رأى الشملة الورديّة اللون التي كانت تغطي بها رأسها في تلك الليلة.

وأطرقت برأسها وغمغمت:

ـ مسكين مستر «رافيل». . أرجو ألاّ يكون قد تألّم كثيراً.

وتذكّرت كيف كان يتألّم خلال الأسابيع التي قضاها في الجزيرة. . وكيف احتمل آلامه بصبرٍ وشجاعةٍ.

نعم.. كان رجلاً شجاعاً.. ورغم مرضه وكبر سنّه فمن المحقق أنّ العالم قد خسر شيئاً بفقده.

ولم تكن مس «ماربل» تعرف شيئاً عن أساليبه في العمل. فلعلّه كان في معاملاته شديد الصلابة والشراسة.. ولكنّها كانت واثقة من أنّ في أعماقه بعض رواسب من الرحمة حرص على ألّا تبدو في نبرات صوته أو قسمات وجهه.

ترى هل كان ربّ أسرة..؟

إنّه لم يتحدّث قط عن زوجة أو ولد.. ولعلّه لم يكن يشعر بالوحدة لأنّ حياته كانت حافلة مليئة.

وقضت كذلك وقتاً طويلاً تفكّر في مستر «رافيل» وتعجب لأمره.

إنّها لم تره منذ عودتها إلى «إنجلترا».. ولم تكن تتوقّع أن تراه.. ولكن لو أنّه اتصل بها. واقترح عليها أن يتقابلا.. بدافع من إحساسه بوجود رابطة بينهما.. هي حياة ذلك الإنسان الذي تعاونا على إنقاذه في جزيرة «سان أونوريه».. أو أية رابطة أخرى من نوع آخر.. مثل وحدة الطباع أو..

وكفّت عن التفكير فجأة..

كلا.. لا يمكن أن يكون بينهما وحدة طباع.. وهي لا يمكن أن يكون لها مثل غطرسته... وصرامته، وطباعه الفظّة..

وفي المساء، كان موضوع مستر «رافيل» لا يزال يشغل بالها وهي تسير الهوينى بين شجيرات حديقتها..

وحانت منها التفاتة إلى زهرةٍ من نوعٍ معيّن فقالت بصوتٍ مرتفع:

ـ كم أمقت هذه الزهور.. ألم أقل «لجورج» أكثر من مرّة إنني لا أريدها في حديقتي..؟

وحينئذ: سمعت صوتاً في الجانب الآخر من السور الذي يفصل بين الحديقة والطريق يقول:

ـ معذرة.. هل قلت شيئاً..؟

فأجابت: كلا.. أظنّ أنّني كنت أتحدّث إلى نفسي.

ونظرت من فوق السور، ورأت امرأة لا تعرفها.

كانت تعرف أهل القرية كلهم تقريباً.. أمّا هذه المرأة المتوسطة القامة القوية البناء.. فإنّها لم يسبق لها أن رأتها..

قالت:

ـ إنّ الناس في مثل سنّي كثيراً ما يتحدّثون إلى أنفسهم.

فقالت المرأة:

ـ إنّ لديك حديقة جميلة...

ـ إنّها لم تعد كذلك الآن.. عندما كنت أشرف عليها شخصيًّا..

فقاطعتها المرأة:

ـ آه.. أنا أفهم ما تعنين.. أكبر الظن أنّك أوكلت أمرها إلى أحد أولئك العجائز الذين يزعمون أنّهم يعرفون كل شيء عن فلاحة البساتين بينما هم لا يعرفون إلّا القليل. أو لا يعرفون شيئاً على الإطلاق كل ما يفعلونه أنهم يجتزون قليلاً من العشب ويحتسون عدداً لا يحصى من أقداح الشاي.. أنا شخصيًّا شديدة الولع بفلاحة البساتين..

ـ هل تقيمين هنا..؟

ـ إنّني أقيم في بيت مسز «**هاستنجز**».. أعتقد أنّني سمعتها تتحدّث عنك ألست مس «**ماربل**»..؟

ـ بلى.

ـ أنا أدعى «**بارتليت**».. مس «**بارتليت**»... وقد أوكلت إلي

مسز «هاستنجز» أمر العناية بحديقتها.. ولكنّها لا تريد سوى الزهور الموسميّة المألوفة.. وذلك لا يتطلّب براعة.. ولا يكلّفني جهداً كثيراً.. فإذا أردت معونة فإنّني على استعدادٍ لأن أبذل لحديقتك ساعة أو ساعتين كلّ يوم.. وأؤكّد لك أنّني سأكون أفضل من البستاني الذي لديك الآن.

ـ الواقع أنّني أحبّ الزهور ولا أهتمّ بالخضر..

ـ إنّني أزرع خضر حديقة مسز «هاستنجز».. وهو عمل مملّ.. أظنّ أنّني يجب أن أذهب الآن.

ونظرت إلى مس «ماربل» من قمّة رأسها إلى أخمص قدميها.. كأنّها تريد أن تطبع صورتها في ذهنها.. ثم حيّتها ومضت في سبيلها..

وفكّرت مس «ماربل»..

من تكون مسز «هاستنجز» هذه..؟ إنها لا تذكر هذا الاسم..

لعلّها إحدى القاطنات في البيوت الجديدة التي شيّدت في نهاية طريق (جبل «طارق»).. وانتقلت إليها بعض العائلات في العام الماضي..

الفصل الثاني

كلمة السر

بعد نحو أسبوع. . حمل البريد إلى مس «ماربل» ثلاث رسائل، فتناولت إحداها ونظرت إليها طويلاً قبل أن تفضّها.

أمّا الرسالتان الأخريان، فكان يبدو أنّهما تحتويان على فواتير، أو إيصالات لا أهمّية لها.

كانت الرسالة التي أثارت اهتمامها تحمل طابع بريد «لندن»، وغلافها مستطيل ومن نوعٍ جيّد، وقد كتب عليها العنوان بالآلة الكاتبة. .

وفضّتها مس «ماربل» بعناية. . وقرأت في أعلاها اسم: («برودريب وشوستر»: محاميان ومسجّلا عقود).

كانت رسالة مهذّبة، مكتوبة بأسلوب رجال القانون، وفيها يطلب إليها المحاميان زيارتهما في مكتبهما في «بلوفر بيري» «بلندن» يوم الخميس التالي لبحث موضوع قد يفيدها، وإذا لم يلائمها هذا الموعد، فلتتفضّل بتحديد موعدٍ آخر في وقتٍ قريب. . وأضافا أنّهما محاميا مستر «رافيل» الذي يعتقدان أنّها لا تعرفه.

قرأت مس «ماربل» الرسالة وقطبت حاجبيها في دهشة. وراحت تهبط درج السلّم ببطء وهي مستغرقة في التفكير بينما كانت وصيفتها «شيري» تتبعها عن كثب لتخفّ إلى نجدتها فيما إذا تعثّرت على السلّم العتيق.

قالت لها مس «ماربل»:
ـ أراك شديدة الاهتمام بي يا «شيري».
ـ يجب أن أكون كذلك يا مس «ماربل».. فإنّ الناس الطيّبين قلائل.
ـ شكراً لك على ذلك الإطراء يا «شيري»..
ـ هل ثمّة ما يضايقك يا مس «ماربل»؟ يبدو أنّك مشغولة البال.
ـ لا شيء يا «شيري».. لقد تسلّمت للتوّ رسالة عجيبة من أحد مكاتب المحاماة.
فقالت «شيري» التي تعوّدت أن تعتبر رسائل المحامين نذير شرّ:
ـ أرجو ألّا يكون هناك من يريد مقاضاتك.
ـ لا أظنّ ذلك.. إنّهم يطلبون إلي مقابلتهم في «لندن» في الأسبوع القادم.
ـ لعلّ بعضهم توفي وأوصى لك بثروته.
ـ هذا أمرٌ بعيد الاحتمال.
ـ من يدري..؟
وتهالكت مس «ماربل» في مقعدها المألوف وتناولت حقيبة الحياكة..
هل يمكن حقاً أن يكون مستر «رافيل» قد ترك لها مبلغاً من المال..؟
ولكنّ مستر «رافيل» ليس من ذلك الطراز.
ولم يكن في استطاعتها الذهاب إلى «لندن» في الموعد المحدّد، إذ كان مقرّراً أن تشترك في اجتماع بمعهد السيدات لمناقشة موضوع جمع التبرّعات لإنشاء غرفتين إضافيّتين بالمعهد المذكور. فكتبت إلى المحامين تحدّد موعداً آخر في الأسبوع التالي.

- ٢ -

نظر مستر «برودريت» في ساعته وقال يحدّث شريكه مستر «شوستر»: ترى ما شكلها..؟

فأجاب «شوستر»:

- إذا كانت ممّن يحافظن على المواعيد فيجب أن تكون هنا خلال ربع ساعة.

- أعتقد أنّها متقدمة في السنّ، والمسنّون أحرص على المواعيد من شباب اليوم الطائشين.

- ترى هل هي نحيلة أم بدينة؟.

فهزّ «برودريب» رأسه ولم يجب.

قال «شوستر»:

- ألم يصفها مستر «رافيل»..؟

- لقد كان شديد الحذر في كل ما ذكره عنها.

- إنّ الأمر كلّه يبدو غاية في الغرابة.. ليتنا فقط نعلم ما حقيقة الموضوع؟.

ففكّر «برودريب» قليلا ثم قال:

- قد يكون الموضوع خاصاً «بمايكل».

- بعد كل هذه السنين..؟ لا أظنّ.. ولكن ماذا جعلك تفكّر في ذلك..؟ هل قال لك..

- لم يقل لي شيئاً.. ولم يشر من قريبٍ أو بعيدٍ إلى ما يدور بخلده.. لقد أصدر إلي تعليماته فحسب.

- هل تظن أنّه أصيب بلوثة في الأيام الأخيرة..؟

- كلاّ.. بتاتاً.. إنّ اعتلال جسده لم يؤثّر على قواه العقليّة.. وقد ربح مائتي ألف جنيه من صفقاته خلال الشهرين الأخيرين من حياته..

ـ الحق أنّه كان موهوباً . .

ـ كانت له عقليّة ماليّة منقطعة النظير . .

ودقّ جرس التليفون في هذه اللحظة فتناول «شوستر» السمّاعة، وسمع صوتاً نسائياً يقول:

ـ لقد جاءت مس «جين ماربل» وهي على موعدٍ مع مستر «برودريب».

فنظر «شوستر» إلى شريكه وأومأ هذا برأسه فقال «شوستر» محدّثاً السكرتيرة:

ـ دعيها تدخل . .

ودخلت مس «ماربل» ورأت رجلاً متوسّط العمر، نحيل الجسم، ينهض لتحيّتها . . ووقع بصرها على رجلٍ آخر أصغر سنّاً، وأقوى بنيةً يقف بجواره.

قال الأول:

ـ اسمحى لي بأن أقدّم لك شريكي مستر «شوستر». وقال هذا:

ـ أرجو ألاّ يكون صعود السلّم قد أتعبك . .

ـ إنّني ألهث قليلاً كلّما ارتقيت سلّماً . .

فقال «برودريب» معتذراً:

ـ الواقع أنّ المبنى عتيق وليس به مصعد، ولكنّنا نشغل هذا المكتب منذ وقتٍ طويل.

فقالت مس «ماربل» وهي تجيل البصر حولها:

ـ إنّ المكان جميل على كل حال.

وجلست على المقعد الذي قدّمه إليها «برودريب». بينما تسلّل «شوستر» في هدوءٍ إلى الخارج.

وبعد حديثٍ تقليدي قصير عن الطقس والصقيع قال

«برودريب» وهو يعبث ببعض أوراقي أمامه:

ـ لا شك أنّك سمعت عن وفاة مستر «رافيل». . أولعلك قرأت النبأ في الصحف.

ـ لقد قرأت النبأ في إحدى الصحف.

ـ كان صديقاً لك فيما أعتقد.

ـ إنّني قابلته لأوّل مرّة منذ أكثر من عام. . كان ذلك في جزر «الهند الغربيّة».

ـ آه. . أذكر أنّه ذهب إلى هناك للاستشفاء.

ولكنّ المرض كان قد برح به. . وكان قعيداً كما تعلمين. .

ـ نعم.

ـ هل كنت تعرفينه جيداً.

ـ لا أستطيع أن أزعم ذلك. . كنّا مجرّد سائحين مقيمين في فندقٍ واحد. . يتبادلان الحديث أحياناً. ولكنّي لم أره قط بعد عودتي إلى «إنجلترا». . ولعلّ السبب أنّي أقيم في بقعةٍ ريفيّةٍ هادئةٍ. . وأنّه كان منصرفاً كلية إلى عمله.

ـ الواقع أنّه ظلّ يباشر عمله حتى آخر يومٍ في حياته. . كان ذا عقليّة مالية فذّة. .

ـ أنا واثقة من ذلك. . ولقد تبيّنت على الفور أنّه شخصيّة غير عاديّة.

ـ هل لديك أية فكرة عن الاقتراح الذي أصدر إلي مستر «رافيل» تعليماته بأن أعرضه عليك. . ؟

ـ ليس في استطاعتي أن أتصوّر أي نوع من الاقتراحات يمكن أن يعرضه علي مستر «رافيل».

ـ إنّه كان يكنّ لك أعظم تقدير.

ـ هذا كرم منه: فإنّني مخلوقة بسيطة للغاية.

ـ لا شك أنّك تعلمين أنّه كان واسع الثراء.. وقد كتب وصيّة قبل وفاته.
ـ هذا أمر مألوف في هذه الأيام.
ـ إنّني طلبت مقابلتك لكي أقول لك إن مستر «رافيل» كلّفني بأن أنهي إليك أنّه خصّص مبلغاً من المال سيكون حقاً لك بعد عام، بشرط أن تقبلي الاقتراح الذي سأطلعك عليه.
قال ذلك وتناول من فوق مكتبه مظروفاً مستطيلاً مختوماً قدّمه إليها.. واستطرد قائلاً:
ـ لعلّ من الأفضل أن تقرئي بنفسك ما جاء في هذا الخطاب.. اقرئيه على مهل.. فليس ثمّة ما يدعو إلى العجلة..
وفي تمهّل، فضّت مس «ماربل» الغلاف وأخرجت منه ورقةً مكتوبة على الآلة الكاتبة. وقرأتها بإمعان ثم نظرت إلى «برودريب» وسألت:
ـ ألا توجد تفصيلات أخرى من أي نوع..؟
ـ لا علم لي بشيء.. لقد طلب إليّ أن أقدّم إليك هذه الرسالة وأن أذكر لك المبلغ الذي أوصى به.. المبلغ هو عشرون ألفاً من الجنيهات خالصة من ضرائب التركات.
فنظرت إليه مس «ماربل» وقد أذهلتها المفاجأة وأفقدتها المقدرة على الكلام..
وراح «برودريب» يرقبها في صمت..
لم يكن هناك شك في أنّ ما سمعته مس «ماربل» في التوّ واللحظة كان آخر ما توقّعت أن تسمعه.
قالت أخيراً وهي تنظر إليه بحدّة:
ـ إنّه مبلغ كبير جداً..
ـ ليس بسعر النقد في هذه الأيام..

ـ يجب أن أقول لك بصراحة إنني في أشد حالات الدهشة.
وراحت تقرأ الرسالة مرة أخرى بمزيد من العمق ثم قالت:
ـ هل تعرف ما جاء بهذه الرسالة..؟
ـ نعم.. لقد أملاها علي مستر «رافيل» شخصيًّا.
ـ ألم يذكر لك شيئاً من التفصيلات..؟
ـ كلا..
ـ ولكن يخيّل إليّ أنك اقترحت عليه أن يذكر مزيداً من التفصيلات..؟
فمرّت على شفتي «برودريب» ابتسامة شاحبة وقال:
ـ هذا ما فعلته.. قلت له إنه يشقّ عليك أن تفهمي غرضه تماماً..
فقلبت مس «ماربل» شفتها ولم تجب..
قال «برودريب»:
ـ لا حاجة بك طبعاً إلى الإدلاء برأيك الآن..
ـ يجب أن أفكّر في الأمر.
ـ إنّ المبلغ كبير كما ذكرت أنت، ويستحقّ التفكير.
ـ لقد تقدّمت بي السن، وقد لا يمتدّ عمري عاماً آخر لكي أربح هذا المبلغ.. ذلك إذا استطعت أن أربحه على الإطلاق.
ـ إنّ المال شيء لا ينبغي أن يحتقره الإنسان مهما كانت سنّه.
ـ هذا صحيح.. وفي استطاعتي بهذا المبلغ أن أفيد بعض المؤسسات الخيريّة التي يهمّني أمرها.. ويوجد دائماً أناس يودّ الإنسان أن يمدّ إليهم يد المساعدة.. ولكن إيراداته الخاصة لا تسعفه.. فضلاً عن أنّه توجد بعض متعٍ ومسرّات يطيب لي أن أنعم بها، ولم يصدّني عنها سوى ضيق ذات اليد..
ـ في استطاعتك مثلاً أن تذهبي في رحلةٍ إلى الخارج.. وأن

تغشى المسارح والحفلات الموسيقيّة وأن تحشدي في قبوك أفخر المشروبات.

- إنّني أكثر تواضعاً من ذلك.. بحسبي أن أتناول (سمانة) كاملة.. وأن أحصل على علبة من (المارون جلاسيه).. وحبذا امتلاك سيارة أذهب بها إلى دار الأوبرا..

ثم تنهّدت وقالت:

- أرى أنّني أهيم في عالم الوهم والخيال.. سآخذ معي هذه الرسالة لأعيد تلاوتها وأفكّر فيما جاء بها.. ولكن بحقّ السماء.. ماذا حمل مستر «رافيل» على أن.. أليست لديك أيّة فكرة عن الأسباب التي حملت مستر «رافيل» على أن يعرض علي هذا الاقتراح، وماذا جعله يعتقد أنّني أستطيع أن أفيد بطريقة ما.؟ كان ينبغي عليه أن يعلم أنّ عاماً قد انقضى.. وأنّني قد أصبحت أشدّ ضعفاً وأقلّ مقدرة على استخدام مواهبي المحدودة عما كنت قبلاً..

من المحقق أنّ هناك كثيرين أصلح منّي للاضطلاع بالمهمّة التي أوكلها إلي.

فقال «برودريب»:

- وذلك بصراحة هو رأيي أيضاً.. ولكنّه اختارك أنت يا مس «ماربل»، ومعذرة عن فضولي إذا سألتك هل لك صلة بموضوع الجرائم وتحقيقها..؟

- ليست لي أيّة صلة رسميّة وكل ما أستطيع أن أقوله لك على سبيل الإيضاح هو أنّني ومستر «رافيل» قد اشتركنا في موضوع جريمة قتل محيّرة أثناء إقامتنا في جزر «الهند الغربيّة».

- هل تعنين أنّكما استطعتما إماطة اللثام عنها..؟

- الأصحّ أنّه هو بقوّة شخصيّته.. وأنا بقوّة ملاحظتي ومقدرتي على التقصي والاستنتاج قد استطعنا أن نحول دون وقوع جريمة قتل.

ولم يكن ممكناً أن أفعل ذلك وحدي لأنّني ضعيفة.. ولا أن يفعله هو بمفرده لأنّه كان كسيحاً.. ولذلك تحالفنا معاً ونجحنا.

- سؤال آخر يا مس «ماربل».. كلمتا (عدالة السماء) هل تعنيان شيئاً بالنسبة إليك..؟

فأجابت وقد أشرق وجهها بابتسامة:

- عدالة السماء..؟ نعم.. إنّهما تعنيان شيئاً بالنسبة إلى مستر «رافيل».. لقد وصفت له نفسي ذات مرة بأنّني أمثّل عدالة السماء.

فارتسمت في عيني «برودريب» نظرة دهشة. كتلك التي لا بد قد ارتسمت في عيني «رافيل» وهو طريح الفراش حين سمع هذه العجوز المتهالكة تصف نفسها بأنّها تمثّل عدالة السماء..

ونهضت مس «ماربل» وهي تقول:

- إذا عرفت أو تلقيت من المعلومات ما يلقي ضوءاً على الموضوع الذي ذكره مستر «رافيل» في رسالته، فأرجو أن تبلّغني إيّاه يا مستر «برودريب».. سوف يدهشني ألاّ تتلقّى مثل هذه المعلومات وإلاّ فإنّني سأظلّ في جهلٍ تامّ بما يريد مستر «رافيل» أن أفعله..

- ألا تعرفين أسرته.. وأصدقاءه.. و..؟

- كلا.. قلت لك إننا كنّا مجرّد زميلين في رحلة سياحيّةٍ ببلدٍ أجنبيّ... ثم نشأ بيننا نوع من التحالف حيال قضيّة محيّرة..

قالت ذلك وسارت إلى الباب.. ولكنّها توقّفت فجأة عندما بلغته وقالت:

- كانت لمستر «رافيل» سكرتيرة خاصة هي مسز «أستر والترز».. هل ثمّة ما يمنعك من أن تقول لي ما إذا كان مستر «رافيل» قد أوصى لها بمبلغٍ من المال؟

- إنّ مضمون الوصيّة سينشر في الصحف ولكنّي أستطيع أن أقول إنه أوصى لها بخمسين ألفاً من الجنيهات. وبهذه المناسبة إنّ مسز

«والترز» قد تزوجت وأصبح اسمها الآن مسز «أندرسن».

ـ يسرّني أن أعلم ذلك.. إنّها كانت أرملة.. ولها ابنة واحدة.. وكانت تفهم مستر «رافيل» جيداً. الحق أنّها كانت على جانبٍ عظيمٍ من الكفاءة.

وفي مساء ذلك اليوم، جلست مس «ماربل» في مقعدها أمام الموقد، وبسطت الرسالة التي تركها لها مستر «رافيل» وراحت تعيد تلاوتها في صمتٍ تارة، وبصوتٍ مسموعٍ تارة أخرى كأنّما لتسجل بعض عباراتها في ذاكرتها:

إلى مس «ماربل» بقرية «سانت ماري ميد»

سوف تصلك هذه الرسالة بعد موتي، عن طريق محامي اسمه مستر «جيمس برودريب» الذي يتولى المشكلات القانونيّة في حياتي وهو رجل أمين جدير بالثقة ولكنّه خليق ـ كأكثر الناس بأن يصاب بآفة الفضول.. ولم أشأ أن أشبع فضوله.. فإنّني أريد لهذا الموضوع أن يظلّ سراً بيني وبينك..

إنّ كلمة السر بيننا يا سيدتي العزيزة هي (عدالة السماء) ولا أظنّك قد نسيت المكان أو الظروف التي ذكرت فيها هذه الكلمة لأول مرة.

لقد اكتشفت خلال حياتي العمليّة الطويلة الصفة التي يجب أن تتوفّر للشخص الذي أودّ استخدامه.. هذا الشخص يجب أن تكون له حاسة سادسة بالنسبة للعمل الخاص الذي أسنده إليه.. والحاسة السادسة ليست المعرفة أو التجارب.. وإنّما الموهبة الطبيعيّة لأداء عملٍ معيّن.

وأنت يا سيدتي العزيزة لديك حاسّة سادسة بالنسبة إلى العدالة، وبالتالي لديك حاسّة سادسة بالنسبة إلى الجريمة.. وأنا أريدك أن تضطلعي بتحقيق جريمة معيّنة.. وقد رصدت مبلغاً من المال سيكون

من حقّك إذا أنت قبلت هذه المهمّة ونجحت في أدائها خلال عامٍ واحد.

إنّك لست في مقتبل العمر، ولكنّك قوية البنية. وأعتقد أنّ بوسعي أن أطمئنّ إلى أنّ القدر سيمدّ في عمرك عاماً آخر على الأقلّ.

وأكبر ظنّي أنّ هذه المهمّة لن تثير نفورك، فقد وهبتك الطبيعة مقدرة عجيبة على تحقيق الجرائم.

أمّا النفقات التي يتطلّبها العمل، فإنّها ستصرف لك أوّلاً بأوّل..

إنّني أعرض عليك هذه المهمة كبديلٍ للحياة الهادئة الخاملة التي تحيينها الآن.. فأنا أتخيّلك جالسةً في مقعدٍ كبيرٍ ممّا يرتاح مرضى الروماتيزم إلى الجلوس فيه. ذلك أنّ جميع الناس في مثل سنّك يعانون من نوع من أنواع الروماتيزم، فإذا كان هذا المرض قد أصاب ظهرك أو ركبتك فأنت لا تتحرّكين بسهولة وتقضين جلّ وقتك في الحياكة والتطريز.. وإنّي أراك الآن بعين الخيال، كما رأيتك ذات ليلة، وبين يديك كرة ضخمة من خيوط الصوف الوردي اللون، تحيكين منها مزيداً من الجاكتات والشملات وأشياء أخرى لا أعرف أسماءها.. فإذا آثرت الاستمرار في الحياكة فذلك شأنك.. وإذا آثرت خدمة العدالة فإنّني أرجو أن تجدي في ذلك شيئاً من المتعة على الأقلّ.

«رافيل»

الفصل الثالث

مس ماربل تعمل

- ١ -

قرأت مس «ماربل» هذه الرسالة ثلاث مرات ثم وضعتها جانباً وراحت تفكّر في مضمونها ومغزاها.

كان أول ما لاحظته على الرسالة خلوّها من أيّة معلومات محدّدة. فهل سيوافيها «برودريب» بهذه المعلومات..؟

إنّها واثقة من أنّ ذلك لن يحدث. لأنّه لا يتلائم مع خطّة مستر «رافيل»..

ولكن ماذا كان «رافيل» يريدها أن تفعل في موضوعٍ لا تعلم عنه شيئاً..؟

لا شك أنّ الرجل تعمّد أن يضعها أمام لغزٍ محيّر.

وعادت بها الذاكرة إلى الفترة القصيرة التي عرفته فيها..

تذكّرت عاهته وعجزه وضيق صدره. وسخريته اللاذعة ولمحات مرحه القليلة، وخلصت من ذكرياتها عنه إلى أنّه كان يجد متعةً في إغاظة الناس.. ألم يكن ما جاء في رسالته دليلاً على أنّه استمتع بإغاظة «برودريب» حين تعمّد ألاّ يشبع فضوله...؟

ولم يكن في الرسالة ما يرشدها إلى الجريمة التي يريدها أن تضطلع بتحقيقها، من المؤكّد أنّه تعمّد ذلك لغرضٍ في نفسه..

ولكن كيف تبدأ هي.. ومن أين تبدأ..؟

إنّها تجد نفسها أمام ما يشبه أن يكون لغزاً من ألغاز الكلمات المتقاطعة. ولكن بلا شرحٍ أو إيضاحٍ يرشدها إلى الكلمات المطلوبة.

ينبغي أن يكون هناك ما يرشدها.. وأن تعرف على وجه التحديد ما هو مطلوب منها.. وإلى أين يجب أن تتّجه.. وهل القضيّة من النوع الذي يقتضيها أن تقبع في مقعدها، وتعمل بإبرتها لكي تركّز تفكيرها وتصل إلى الحل، أم أنّ «رافيل» يريدها أن تستقلّ طائرةً أو باخرةً تذهب بها إلى جزر «الهند الغربيّة» أو «أمريكا اللاتينيّة» أو أيّ مكانٍ آخر معيّن..؟

إنها أمام أحد أمرين، إمّا أن تكتشف بنفسها المهمّة التي يراد منها القيام بها.. أو تنتظر حتى تتلقى تعليمات واضحة محدّدة بشأنها..

أم لعلّ الرجل ظنّ أنّها من البراعة بحيث تستطيع أن تخمّن، وتسأل وتهتدي بنفسها إلى الطريق..؟

قالت بصوتٍ مرتفع:

ـ إذا كان قد ظنّ ذلك فمن المؤكّد أنّه أصيب بالجنون قبل أن يموت.

ولكنّها كانت واثقة من أنّه لم يجنّ قبل أن يموت.

قالت لنفسها:

ـ سوف أتلقى تعليمات.. ولكن ماذا ستكون هذه التعليمات..؟ ومتى سأتلقّاها.

وأدركت فجأة.. أنّها تفكّر وكأنّها قد قبلت المهمّة بصفةٍ نهائيّة، فقالت مرة أخرى بصوتٍ مرتفع وهي تنظر إلى الفضاء.

ـ إنّني أومن بخلود الروح.. وأنا لا أعلم أين أنت الآن يا مستر «رافيل» ولكنّي واثقة من أنّك في مكان ما، وسوف

أبذل قصارى جهدي لتحقيق رغباتك.

* * *

بعد ثلاثة أيام، كتبت مس «ماربل» إلى مستر «برودريب» الرسالة المقتضبة التالية:

عزيزي مستر «برودريب»

لقد فكّرت في الأمر وقررت قبول اقتراح مستر «رافيل»، وسأبذل قصارى جهدي لتحقيق رغباته، رغم أنني لست واثقة من النجاح.

والواقع، كيف يمكن أن أنجح وأنا لا أجد في رسالته أيّة تعليمات..؟

فإذا كانت لديك رسائل أخرى تتضمّن معلومات أو إيضاحات فإنّني أكون سعيدة إذا بعثت بها إلي.

إنّني أفترض أنّ مستر «رافيل» كان يتمتّع بكامل قواه العقليّة قبل أن يموت.

وأعتقد أنّ من حقّي أن أسأل: هل كانت في حياة مستر «رافيل» العمليّة أو الخاصة قضيّة جنائيّة تثير اهتمامه.؟ وهل عبّر لك مرة عن غضبه أو استيائه من سوء تطبيق العدالة في قضيّةٍ ما..؟ وهل تعرّض أحد أقاربه أو معارفه للمتاعب أو كان ضحيّة لمعاملة ظالمة؟

أنا واثقة من أنّك ستدرك الأسباب التي تحملني على إلقاء هذه الأسئلة.. إنّ مستر «رافيل» نفسه ربّما قد توقّع أن ألقيها.

عرض «برودريب» هذه الرسالة على شريكه مستر «شوستر» الذي اعتدل في مقعده وقال:

ـ لقد قبلت المهمّة.. أليس كذلك..؟ يا لها من عجوزٍ جريئة.. أعتقد أنّها تعرف شيئاً عن الموضوع.

ـ لا أظنّ ذلك. .
ـ ليتنا كنّا نعرف. . حقاً لقد كان رجلاً غريب الأطوار.
ـ وصعب المراس.
ـ ليست لدي أيّة فكرةٍ عن الجريمة التي ذكرها في رسالته، فهي لديك أنت؟
ـ كلا. . وأظنّ أنّه تعمّد ألاّ يدعني أعرف شيئاً عنها.
ـ إنّه بذلك قد زاد الأمر صعوبةً وتعقيداً. . ولا أظنّ أنّ في استطاعة هذه العجوز الريفيّة أن تقرأ ما يدور بخلد رجلٍ ميت. . ألا يمكن أن يكون الأمر كلّه مجرّد دعابـة. . ؟ وأنّه ربّمـا علم أنّها تتيه ببراعتها في حلّ المشكلات الريفيّة فأراد أن يسخر منها. . ؟
ـ لا أعتقد ذلك. . فإنّ «رافيل» لم يكن من هذا الطراز.
ـ إنّه كان شيطاناً مريداً في بعض الأحيان.
ـ هذا صحيح. . ولكنّي أظنّ أنّه كان جاداً في هذا الموضوع. . كان ثمّة شيء يهمّه ويضايقه. .
ـ ألم يفصح لك عنه. . ؟
ـ كلا.
ـ إذن فالموضوع مجرّد دعابة.
ـ إنّ عشرين ألفاً من الجنيهات مبلغ لا يستهان به.
ـ نعم. . ولكن هب أنه كان يعلم أنّ العجوز لن تظفر به. . ؟
ـ إنّه لم يكن تافهاً إلى هذا الحد. لا بدّ أنّه كان يعلم أنّ لديها فرصة للظفر بهذا المبلغ.
ـ وماذا علينا أن نفعل. . ؟
ـ لا شيء سوى أن ننتظر لنرى ما يكون. . لا بدّ أنّ يحدث تطوّر ما.
ـ هل لديك تعليمات أخرى مختومة. . ؟

ـ يا عزيزي «شوستر».. لقد كـان مستر «رافيـل» يثق في إخـلاصي لعملي واحتـرامي لآداب مهنتي كمحامٍ. إنّ التعليمـات المختومة التي تتحدّث عنها لن تفضّ إلاّ في ظروفٍ معيّنة.. وهذه الظروف لم تطرأ بعد..

ـ ولن تطرأ..

وانتهى الحوار عند هذا الحد.

* * *

ـ ٣ ـ

كان «برودريب وشوستر» أسعد حظاً من مس «ماربل». فقد كانت لهما مهنة تستغرق كلّ وقتهما.. أمّا هي فلم يكن لديهـا ما تفعله.. سوى أن تعمل بإبرتها وتفكّر أو أن تخرج للنزهة أحياناً فتثير احتجاج وصيفتها «شيري» التي لا تلبث أن تصيح:

ـ أنت تعرفين أوامر الطبيب.. لقد حظّر عليك ممارسة أيّ لونٍ من ألوان الرياضة..

ـ أنا لا أمارس أيّة رياضة.. أنا أسير ببطء وأفكّر في بعض الأمور.

ـ أيّة أمور..؟

ـ ليتني أعلم.

ثم استطردت بعد صمتٍ قصير:

ـ هل تعرفين سيدة تقيم في بيت جديد قريب من هنا تدعى مسز «هاستنجز»؟..

وسيدة أخرى تقيم معها تدعى مس «بارتليت»..؟

ـ هل تعنين ذلك البيت الذي أعيد طلاؤه والذي يقع في طرف

القرية. .؟ إنّ سكانه جاءوا منذ فترةٍ وجيزةٍ. وأنا أجهل أسماءهم. . فماذا تريدين معرفته عنهم. . ؟

ـ هل ثمّة صلة قرابة بين هاتين السيدتين. . ؟

ـ كلا. . أعتقد أنّهما مجرّد صديقتين.

ـ ترى لماذا؟. .

ولم تتمّ عبارتها فهتفت «شيري»:

ـ عمّ تتساءلين. . ؟

ـ لا شيء. . أريد قلماً وورقاً لأكتب رسالة.

فسألت «شيري» بما طبعت عليه من فضول:

ـ لمن. . ؟

ـ لشقيقة قس يدعى «بريسكوت».

ـ ذلك القس الذي قلت إنك قابلته خلال رحلتك إلى جزر «الهند الغربيّة». . ؟

ـ نعم. .

ـ وماذا يحملك على الكتابة إلى أحد القسس. .؟ هل أنت متعبة. . ؟

فصاحت مس «ماربل»:

ـ إنّني بخير. . وفي أحسن صحة. . وأريد أن أبدأ عملاً. . وربّما استطاعت مس «بريسكوت» مساعدتي.

وكتبت الرسالة التالية:

عزيزتي مس «بريسكوت». .

لعلّك ما زلت تذكرينني. . فإنّني قابلتك مع أخيك في جزيرة «سان أونوريه».

أرجو ألاّ يكون القس العزيز قد عانى كثيراً من ضيق التنفّس بسبب برودة الجو في الشتاء الماضي.

إنّني أكتب إليك الآن للاستفسار عن عنوان «والترز» - «أستر والترز» - السكرتيرة الخاصة لمستر «رافيل».

إنّها ذكرت لي عنوانها ومن سوء الحظ أنّني نسيته وبودّي أن أبلّغها بعض معلوماتٍ خاصة بزراعة الزهور كانت قد طلبتها مني..

لقد علمت، بطريقٍ غير مباشر - أنّها تزوجت للمرة الثانية.. ولكنّ الشخص الذي أنبأني بذلك لم يكن واثقاً من صحة هذا النبأ.. ولعلّ عندك أنت الخبر اليقين..

تحيّاتي لأخيك القس، وأطيب تمنّياتي لك».

وشعرت مس «ماربل» بكثير من الارتياح بعد أن أرسلت هذا الخطاب وقالت لنفسها:

- هذه مجرّد محاولة قد تثمر وقد لا تثمر.. ولكنّها بداية عمل على كلّ حال.

وجاء ردّ مس «بريسكوت» بعودة البريد، متضمّناً العنوان المطلوب وقرأت فيه مس «ماربل» ما يلي:

«أنا أيضاً سمعت عن زواج «أستر والترز» بطريقٍ غير مباشر.. قالت لي إحدى صديقاتي إنها قرأت النبأ.. وأنّ اسمها بعد الزواج قد أصبح (مسز «أندرسون»).. وهي تقيم في «ونسلو لودج» بالقرب من مدينة «ألتون». طلب إليّ أخي أن أبلّغك تحيّاته..

ممّا يؤسف له حقاً أنّ المسافة بيننا طويلة فنحن نقيم في شمال «إنجلترا» بينما تقيمين أنت في جنوب «لندن». ولكنّي أرجو أن نلتقي في مناسبةٍ ما في المستقبل القريب.

«جوان بريسكوت»

غمغمت مس «ماربل» وهي تسجّل العنوان:

- «ونسلو لودج».. إنّها ليست بعيدة عن هنا. وأستطيع الوصول إليها بإحدى سيارات الأجرة.. وإذا نجحت الرحلة، أمكن

تسجيل نفقاتها على حساب مستر «رافيل».

والآن.. هل أكتب «لأستر والترز» قبل زيارتها.. أم أترك الأمر للظروف؟ لعل الأفضل أن أتركه للظروف مسكينة.. من المؤكّد أنّها لا تشعر نحوي بأيّ حبّ أو عطف.

وعادت بها الذاكرة إلى مغامراتها في «سان أونوريه».. من المؤكّد أنّها أنقذت حياة «أستر والترز» في هذه المغامرة.. ذلك هو رأيها هي على الأقلّ ولكن ربّما كان «لأستر والترز» رأي آخر..

قالت بصوتٍ خافت:

ـ إنّها امرأة لطيفة.. بل لطيفة جداً.. وقد كادت المسكينة أن تتزوج قاتلاً.. ولذلك أعتقد أنّني أنقذت حياتها حين أفسدت هذا الزواج. ولكنّي أظنّها لا توافقني على هذا الرأي.. بل لعلّها تمقتني بسببه.. ولهذا قد لا أستطيع الحصول منها على المعلومات التي أنشدها.. ولكنّي سأحاول.. فالمحاولة مهما كانت نتيجتها أفضل من الانتظار..

وفي صباح اليوم التالي، طلبت مس «ماربل» إلى وصيفتها أن تأتيها بإحدى سيارات الأجرة. وسألتها «شيري»:

ـ هل ستذهبين إلى «لندن»..؟

ـ كلا.. ولكنّي سأتناول الغداء في «هازملير».

فقالت «شيري» وهي تنظر إليها في ارتياب:

ـ ترى ماذا تدبّرين..؟

ـ أدبّر لقاء مع شخصٍ بطريق المصادفة..

وفي منتصف الساعة الثانية عشرة، جاءت السيارة فقالت مس «ماربل» لوصيفتها:

ـ اتصلي تليفونياً بهذا الرقم يا «شيري»، واسألي عن مسز «أندرسون»، وقولي لها إنّ مستر «برودريب» يريد التحدّث إليها...

وأنّك سكرتيرته.. فإذا قيل لك أنّها خرجت.. فاسألي متى ستعود.
- وإذا تحدّثت إليّ بنفسها..؟
- اطلبي إليها أن تحدّد موعداً في الأسبوع القادم لمقابلة مستر «برودريب» في مكتبه «بلندن».
- ولماذا لا تتحدّثين إليها بنفسك..؟
- إنّ الذاكرة لغز عجيب، فقد يحدث أن يذكر الإنسان صوتاً حتى ولو لم يكن قد سمعه منذ أكثر من عام.
- ألا يمكن أن تعرف هذه السيدة صوتي..؟
- كلا.. لأنّها لاتعرفك ولم يسبق أن سمعت صوتك. ولهذا طلبت إليك أن تتحدّثي إليها.
وفعلت «شيري» ما أمرت به. وقيل لها إنّ مسز «أندرسون» خرجت لتتسوّق وأنّها ستعود ظهراً ولن تغادر البيت بقيّة النهار.
فقالت مس «ماربل»:
- هذا حسن.. ذلك ييسر الأمور.

الفصل الرابع

أستر والترز

غادرت «أستر أندرسون» مبنى السوق.. وقصدت إلى حيث تركت سيارتها.. وهي تقول لنفسها إنّ إيجاد مكان لوقوف السيارة، يزداد صعوبةً يوماً بعد يوم..

. واصطدمت في طريقها بعجوزٍ تعرج قليلاً، فاعتذرت لها.. وهتفت العجوز في دهشةٍ:

ـ عجباً.. ألست مسز «والترز»..؟ «أستر والترز»؟ لا شك أنّك لا تذكرينني.. أنا «جين ماربل».. وقد تقابلنا في فندق بجزيرة «سان أونوريه».. منذ أكثر من عام..

ـ مس «ماربل»..؟ آه.. حقاً.. من كان يظنّ أنّني سألقاك هنا..

ـ كم أنا سعيدة بلقائك.. إنّني مدعوّة لتناول الغداء عند بعض الأصدقاء بالقرب من هنا.. هل ستكونين في بيتك بعد ظهر اليوم..؟ سوف يسرّني أن نتجاذب أطراف الحديث معاً.. آه.. ما أجمل أن يلقى الإنسان صديقاً قديماً...

ـ طبعاً.. طبعاً ستجدينني في انتظارك في أيّ وقتٍ بعد الثالثة.

واتفقنا على ذلك. ومضت «أستر أندرسون» في طريقها وهي تقول لنفسها:

ـ «جين ماربل».. ظننتها ماتت منذ وقتٍ طويل..

وفي منتصف الساعة الرابعة تماماً، دقّت مس «ماربل» جرس الباب ففتحته «أستر» بنفسها. ورافقتها إلى الداخل.

وجلست مس «ماربل» على المقعد الذي قدّمته إليها مضيفتها وهي تقول:

ـ ما أعجب هذه الدنيا.. يتمنّى الإنسان أن يلقى شخصاً بعينه وتحدّثه نفسه بأنّه سوف يلقاه حتماً.. وتمضي الأيام.. وإذا به يلقاه فجأة حيث لم يكن يتوقّع.

ـ ويكون أول انطباع له أنّنا نعيش في عالمٍ صغير. أليس كذلك..؟

ـ بلى.. إنّ جزر «الهند الغربيّة» تبدو بعيدة جداً عن «إنجلترا».. ومع ذلك فقد كان يمكن أن ألقاك فجأة في «لندن»... أو في أحد المتاجر..

ـ الواقع.. أنّني لم أكن أتوقّع أن ألقاك هنا.. في هذه المدينة البعيدة عن مسكنك..

ـ كلا.. كلا.. إنّني أقيم في قرية «سانت ماري ميد» وهي ليست بعيدة عن هنا.. والمسافة لا تتجاوز خمسة وعشرين ميلاً.. ولو كنت أعلم أنّك تقيمين هنا لحاولت الاتصال بك.

ـ لقد انتقلت إلى هنا منذ وقتٍ قصير.. بعد الزواج مباشرة.

ـ لم يصل إلى علمي أنّك تزوجت رغم حرصي على متابعة أنباء الزواج في الصحف.

ـ إنّني تزوجت منذ أربعة أو خمسة شهور.. واسمي الآن مسز «أندرسون»..

ـ مسز «أندرسون».. سأحاول أن أذكر هذا الاسم.. ومن يكون زوجك..؟

كان يبدو من غير الطبيعي ألاّ نسأل عن الزوج خاصة وأن العجائز معروفات بالفضول.

وأجابت «أستر»:

ـ إنّه مهندس.

ثم استطردت بعد تردّد:

ـ وهو أصغر سنّاً مني.

ـ ذلك أفضل يا عزيزتي.. فالرجال في هذا الزمن تدركهم الشيخوخة قبل الأوان، وأسرع من النساء، ربّما بسبب الهموم والإسراف في العمل: ممّا يصيبهم بارتفاع ضغط الدم أو انخفاضه، وبأمراض القلب وقرحة المعدة.. أما نحن فإنّني أظنّ أنّنا أصلب منهم وأكثر احتمالاً..

ـ ربّما.

وابتسمت، فاطمأنّت مس «ماربل»..

كانت «أستر» في آخر لقاء بينهما ترمقها بنظراتٍ تنمّ عن الحقد والكراهية. وربّما كانت في ذلك الوقت تكرهها فعلاً. أمّا الآن.. فإنّها خليقة بأن تنظر إليها بشيء من الامتنان. فإنّه لولاها لكانت نزيلة أحد القبور بدلاً من هذه الحياة السعيدة التي تحياها مع مستر «أندرسون».

قالت مس «ماربل»:

ـ إنّك تبدين في صحةٍ جيدة..

ـ وأنت كذلك يا مس «ماربل».

ـ إنّني تقدمت في السن. والشيخوخة تحمل معها الآلام والأوجاع.. ولست أعني أنّني أعاني مرضاً خطيراً.. ولكن هناك الروماتيزم وآلام المفاصل والظهر والكتفين.. ولكن ما لنا وهذا الحديث.. إنّ بيتك جميل يا عزيزتي..

وأجالت البصر حولها.

كان كلّ ما حولها ينمّ عن الثراء وسعة العيش. ولا بدّ أن تكون «أستر» قد ابتاعت هذا الأثاث الثمين اعتماداً على الثروة التي هبطت عليها من السماء بعد وفاة مستر «رافيل».

ويبدو أنّ «أستر» أدركت ما يدور بخلدها لأنّها قالت على الفور.

ـ لا شك أنّك قرأت نبأ وفاة مستر «رافيل».

ـ نعم.. نعم.. كان ذلك منذ نحو شهر.. أليس كذلك..؟

ولشد ما حزنت على وفاته.. رغم أنّ الجميع كانوا يتوقّعونها.. هو نفسه كان يتوقّعها وقد قال أكثر من مرة إنه لن يعيش طويلاً.. كان رجلاً شجاعاً.. ألا تعتقدين ذلك..؟

ـ بلى.. كان شجاعاً جداً، وكريماً جداً.. وقد قال لي في بداية عملي معه بأنّه سيمنحني مرتّباً كبيراً، وأنّه يحسن بي أن أدخر بعض هذا المرتّب وألّا أنتظر منه أيّة منحة أخرى.

ولم أنتظر منه أيّة منحة أخرى، فقد كان دائماً يعني ما يقول. ولكن يبدو أنّه غيّر رأيه.

ـ يسرّني أنّه فعل ذلك.

ـ لقد أوصى لي بمبلغٍ ضخمٍ.. وكان الأمر مفاجأة لي فلم أصدّقه في البداية.

ـ أعتقد أنّه أراده على أن يكون مفاجأة لك ولكن هل أوصى بشيء لذلك الرجل الذي كان يعمل في خدمته؟.

ـ تعنين «جاكسون»..؟ كلا.. إنّه لم يترك له شيئاً. ولكنّي أعتقد أنّه منحه مبلغاً من المال في السنة الأخيرة.

ـ هل رأيت «جاكسون» بعد أن..؟

ـ كلا.. إنّني لم أره بعد رحلتنا إلى تلك الجزيرة، لأنّه ترك

خدمة مستر «رافيل» عقب عودته إلى «إنجلترا»، وأعتقد أنّه التحق بالعمل مع أحد اللوردات في «جيرسي» أو «جيرنسي».

ـ كم كنت أودّ أن أرى مستر «رافيل» مرة أخرى.. لقد بدا لي عجيباً بعد عودتي إلى «إنجلترا».. وبعد زمالتي لمستر «رافيل» في تلك الأحداث التي مرّت بنا في الجزيرة إنّني أكاد لا أعرف عنه شيئاً.. وعندما قرأت نبأ وفاته وددت لو أنّني استطعت أن أعرف المزيد عنه.. أين ولد.. وأين أسرته.. وهل له أقارب أو أولاد..؟

فابتسمت «أستر» ونظرت إلى مس «ماربل» كمن يريد أن يقول: نعم.. أنا واثقة من أنّك تريدين أن تعرفي كل شيء عن كل إنسان تقابلينه..

ثم قالت بصوتٍ مرتفع:

ـ الواقع أنّه كان هناك أمر واحد يعرفه الجميع عنه.

ـ هو أنّه كان واسع الثراء.. أليس كذلك..؟ عندما يعلم الإنسان عن شخصٍ أنّه غني جداً، فإنّه لا يسأل عن شيءٍ آخر.

فضحكت «أستر»، وقالت مس «ماربل»:

ـ أظنّ أنّه لم يتزوج.. لأنّه لم يتحدّث قط عن زوجته.

ـ إنّه فقد زوجته منذ وقتٍ طويل.. وأعتقد أنّها كانت أصغر منه سنّاً وأنها ماتت بالسرطان.

ـ هل رزق بأولاد..؟

ـ نعم.. ابنتان وولد.. وقد تزوجت إحدى الابنتين وهي تقيم الآن في «أمريكا».. أمّا الثانية فإنّها توفّيت وهي صغيرة.. وقد قابلت الابنة الأمريكيّة مرة.. ووجدت أنّها تختلف كثيراً عن أبيها.. فهي تبدو هادئة حزينة، أمّا الابن فإنّ مستر «رافيل» لم يتحدّث عنه قط وأظنّ أنّه وقع في ورطةٍ ما، أو أثار فضيحة، أو شيئاً من هذا القبيل،

وأعتقد أنّه مات منذ بضعة أعوام.. ومهما يكن فإنّ أباه لم يتحدّث عنه قط.

- هذا أمرٌ يبعث على الأسف حقاً.

- أظنّ أنّ ذلك حدث منذ سنواتٍ عديدةٍ.. وأنّ الابن ذهب في رحلةٍ أو سافر إلى الخارج.. ولم يعد.

- وهل أثار ذلك قلق مستر «رافيل» أو حزنه..؟

- لم يكن في استطاعة أحدٍ أن يعرف ما يدور بخلده أو ما يعتمل في نفسه.. كان من ذلك الطراز الذي يعرف كيف يلقي خسائره وهمومه وراء ظهره فإذا وجد مثلاً أنّ ابنه أصبح نقمة لا نعمة.. هزّ كتفيه وأسقطه تماماً من حسابه.. قد يفعل ما يقتضيه الواجب، كأن يرسل إليه بعض النقود، على سبيل المساعدة، ولكنّه لا يفكّر في أمره بعد ذلك.

- ألم يذكره قط في أحاديثه..؟

- لا شك أنّك تذكرين عنه أنّه لم يكن الرجل الذي يفصح عن شعوره، أو يتحدّث عن حياته الخاصة.

- نعم.. نعم.. ولكنّي ظننت أنّه ربّما أسرّ إليك بمتاعبه بصفتك سكرتيرته الخاصة طوال عدة أعوام.

- لو كانت لديه متاعب، وذلك ما أرتاب فيه، فإنّه لم يكن الرجل الذي يفضي بمتاعبه لكائن من كان.

لم يكن يهمّه سوى عمله.. فعمله هو ابنه وابنته وأسرته جميعاً.. ولم تكن له متعة في الحياة سوى جمع المال وعقد الصفقات..

- هل أفهم من ذلك أنّه لم تصادفه أيّة متاعب قبل موته..؟

- لا أعتقد أنّه كانت هناك أيّة متاعب.. ثم إنّني تخلّيت عن عملي معه قبل النهاية..

- لا شك أنّه تضايق كثيراً لفقدك.

ـ لا أظنّ ذلك. . لم تكن هذه الأمور لتضايق رجلاً مثله. . إنّه يبحث فوراً عن سكرتيرة أخرى. فإذا لم تلائمه، نفحها قبضة من المال وبحث عن أخرى. . إلى أن يجد ضالته. . كان متّزن العقل دائماً. .

ـ نعم. . نعم. . ولكنّه كان يفقد أعصابه بسهولة. .

ـ كان يجد متعةً في ذلك.

ـ هل كان له اهتمام خاص بعالم الجريمة. .؟ أعني بدراسة الجريمة وحوافزها.

فقالت «أستر» بحدة:

ـ هل تقولين ذلك بسبب ما حدث في تلك الجزيرة.؟

ـ كلا. . إنّما أعني ربّما عجب للعوامل النفسيّة التي تدفع إلى الجريمة. . أو كان له اهتمام خاص بالقضايا التي ضلّ فيها القضاء طريق العدالة أو. . .

فقاطعتها «أستر» قائلة:

ـ ولماذا يهتمّ بهذه الأمور. .؟ ثم أرجوك ألّا تعودي إلى ذكر تلك الأحداث المزعجة التي وقعت في «سان أونوريه».

ـ أنا آسفة. . كلّ ما في الأمر أنّني تذكّرت بعض عباراتٍ قالها مستر «رافيل» فظننت أنّ له نظريّة خاصة عن أسباب الجرائم. .

ـ لقد كانت كلّ اهتمامات مستر «رافيل» تتركّز في المسائل المالية فحسب.

وكانت لا تزال تنظر ببرودٍ إلى مس «ماربل» فقالت هذه معتذرة:

ـ يؤسفني أنّني أثرت ذكرياتٍ قديمة مؤلمة. .

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة:

ـ أظنّ أنّني يجب أن أنصرف الآن لكي ألحق بالقطار.

وحملت حقيبتها ومظلّتها وتهيّأت للانصراف، فألحّت عليها «أستر» في البقاء لتتناول معها قدحاً من الشاي. ولكنّها أجابت:

ـ شكراً لك أيتها العزيزة.. إنّ وقتي لا يسمح أرجو أن تتقبّلي تهنئتي وأخلص تمنّياتي لك بحياةٍ زوجيّة سعيدة. أظنّ أنّك لا تفكرين في الالتحاق بعمل جديد..؟

ـ الواقع أنّ بعض الناس يضيقون بالبطالة، ولكنّي لست منهم.. إنّني أريد الاستمتاع بالثروة التي تركها لي مستر «رافيل»..

وانصرفت مس «ماربل» وهي تقول لنفسها:

ـ كنت أظنّ أنّ لها صلة بالموضوع الذي أثاره مستر «رافيل»، أو أنّها تعرف شيئاً عنه. ولكن يبدو أنّني كنت مخطئة..

والآن... ماذا ستكون خطوتي التالية..؟

* * *

ووجدت لزاماً عليها أن تفكّر في موقفها مليًّا..

لقد عرضت عليها مهمة لا تعرف عنها شيئاً.. وتركت لها حرية قبولها أو رفضها.. فهل يجب أن تبحث بنفسها عن ماهية هذه المهمة أو تنتظر حتى تتلقى من التعليمات ما يرشدها إليها..؟

لماذا اختارها مستر «رافيل» دون غيرها لهذه المهمة..؟ هل لأنّ لها مواهب خاصة تتميّز بها في ناحية ما..؟ وراحت تقيّم نفسها في كثير من التواضع.. كانت كل مميّزاتها تتلخّص في أنها شديدة الفضول، كثيرة الأسئلة.. فهل اختارها لذلك..؟

* * *

وأضناها التفكير، فهزّت كتفيها وقالت بصوتٍ مرتفع:

ـ الحق أنّك رجل متعب يا مستر «رافيل».. لقد فعلت كل ما أستطيع في حدود قدراتي.. ويجب الآن أن أترك الأمر لك.

الفصل الخامس

تعليمات من العالم الآخر

- ١ -

بعد ثلاثة أيام تسلّمت مس «ماربل» رسالة، ففحصتها ونظرت إلى الخط الذي كتب به الغلاف، وإلى طابع البريد، وأيقنت أنّها لا تتضمّن فاتورة من الفواتير المألوفة، وفضّتها ووجدت الخطاب التالي مكتوباً بالآلة الكاتبة:

عزيزتي مس «ماربل»

عندما تتسلّمين هذه الرسالة أكون قد متّ ودفنت ولا أقول أحرقت ووضع رمادي في قنّينة، فإنّني لا أستطيع أن أتصوّر كيف يمكن للإنسان أن يخرج من قنّينة صغيرة مليئة بالرماد لكي يتردّد على من يريد التردّد عليهم. بينما فكرة الخروج من القبر ممكنة تماماً. هل سأرغب في الخروج..؟ ربّما.. بل ربّما أرغب كذلك في الاتصال بك.

والآن لا بدّ أن يكون محاميّ قد اتصل بك وعرض عليك اقتراحاً معيّناً أرجو أن تكوني قد قبلته. أمّا إذا كنت قد رفضته فذلك شأنك ولن أشعر بالندم أو الأسف.

وإذا قام محاميّ وإدارة البريد بما ينتظر منهما فإنّ هذه الرسالة يجب أن تصلك في اليوم الحادي عشر من الشهر، وبعد يومين

ستصلك رسالة من أحد مكاتب السياحة في «لندن»، متضمّنة عرضاً أرجو أن يصيب هوى في نفسك.

لن أقول أكثر من ذلك، ولكنّي أريدك أن تواجهي الأمور بعقلٍ مفتوح. وأن تحرصي على نفسك.

أرجو لك حظاً سعيداً، كما أرجو أن يلازمك ملاكك الحارس، لأنّك ستكونين بحاجةٍ إليه..

المخلص

«ج. رافيل»

وقضت مس «ماربل» يومين وهي على أحرّ من الجمر، إلى أن جاءتها الرسالة التالية من جمعيّة (القصور والحدائق المشهورة في «إنجلترا»):

عزيزتي مس «ماربل»

تنفيذاً لتعليمات المرحوم مستر «رافيل»، نرسل إليك رفق هذا تفصيلات الرحلة السابعة والثلاثين لجمعيّة (القصور والحدائق المشهورة في «إنجلترا») التي تبدأ من «لندن» يوم الخميس الموافق ١٧ الجاري.

فإذا أمكنك الحضور إلى مكتبنا في «لندن»، فإنّ مسز «ساندبورن» سكرتيرة الجمعية التي ستشرف على الرحلة سوف يسرّها أن توضح لك التفصيلات وتجيب على كلّ ما يعنّ لك من أسئلة.

ستستغرق الرحلة بين أسبوعين وثلاثة أسابيع، ويعتقد مستر «رافيل» أنّك سترحّبين بها لأنّها سوف تشمل منطقة من «إنجلترا» يظنّ «رافيل» أنّك لم تزوريها من قبل، وقد طلب أن نهيّىء لك في هذه الرحلة أقصى ما نستطيع من أسباب المتعة والراحة.

فهلّا تفضّلت بإخطارنا عن الموعد الذي يلائمك لزيارة مكتبنا بشارع «بركلي»؟

وطوت مس «ماربل» الرسالة ووضعتها في حقيبتها، ثم أجرت

بعض الاتصالات التليفونيّة بصديقات لها تعتقد أنهن اشتركن في رحلاتٍ سابقة للجمعيّة، ولمّا لم تسمع منهنّ سوى الثناء على هذه الرحلات، ودقة تنظيمها، اتصلت بمكتب الجمعيّة تليفونياً وقالت للسكرتيرة إنها ستزور المكتب يوم الثلاثاء.

وفي اليوم التالي تحدّثت مس «ماربل» إلى وصيفتها في الموضوع. قالت:

- إنّني سأذهب في رحلةٍ يا «شيري».

فهتفت «شيري»:

- رحلة..؟ هل تعنين رحلة إلى الخارج..؟

- كلا.. إنّها رحلة داخليّة لزيارة القصور التاريخيّة والحدائق المشهورة.

- هل تظنّين أنّ ذلك يلائم سنّك..؟ هذه الرحلات قد تكون متعبة وشاقة.. إذ يتعينّ عليك في بعض الأحيان أن تسيري مسافاتٍ طويلة.

- إنّ صحّتي جيدة.. ثم إنّني علمت أنّهم جعلوا لكبار السن فرصة للراحة.

- كل ما أستطيع أن أقوله لك هو أن تعني بنفسك فلسنا نريدك أن تصابي بأزمةٍ قلبية. أو أن تسقطي في حوض إحدى النافورات..

- إطمئني يا «شيري»، فسوف أعنى بنفسي.

وأعدّت مس «ماربل» حقيبتها، وذهبت إلى «لندن»، حيث حجزت غرفة في فندقٍ متواضع، ثم قصدت إلى مكتب الجمعية - في الموعد المحدّد، وهناك استقبلتها سيدة لطيفة في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها. قالت إن اسمها مسز «ساندبورن» وإنها ستشرف على الرحلة.

فقالت مس «ماربل»:

ـ هل أفهم أنّ رحلتي. .

وتردّدت، وأحسّت مسز «ساندبورن» بحرجها فقالت:

ـ آه. . كان يجب أن أوضح ذلك في رسالتنا إليك نعم. . لقد دفع مستر «رافيل» كافة نفقات رحلتك.

ـ هل تعلمين أنّه توفي؟

ـ نعم. . ولكنّه دبّر أمر الرحلة قبل وفاته. . قال إنه مريض ولكنّه أراد أن يهيّىء هذه الرحلة لصديقة عزيزة لم تتح لها فرصة للاستمتاع بمثل هذه الرحلات.

ـ ٢ ـ

بعد يومين، حملت مس «ماربل» حقيبتها واحتلّت مكانها في الحافلة الفخمة التي ما لبثت أن شقّت طريقها إلى خارج «لندن». .

وراحت مس «ماربل» تتصفّح الكتيّب الذي وزّع على أعضاء الرحلة ويتضمّن أسماء المسافرين والبرامج اليوميّة والبيانات الخاصة بالفنادق والأطعمة. . والقصور والحدائق التي تشملها الرحلة، والأماكن البديلة التي يستطيع ارتيادها أو التماس الراحة فيها أولئك الذين يتخلّفون عن إحدى الزيارات بسبب التعب أو الضعف أو الذين يؤثرون الجلوس على السير الشاق وارتقاء التلال. .

صفوة القول، إن الرحلة نظّمت بدقّة ولباقة على نحو يلائم الجميع.

وقرأت مس «ماربل» أسماء الركّاب وراحت تتأمّلهم، ولاحظت أنّهم يتأمّلون بعضهم بعضاً. . ولكن ليس بينهم من يعيرها اهتماماً خاصاً.

قرأت في قائمة الأسماء:

مسز «بورتر»

مس «جوانا كروفورد»
الكولونيل «ووكر» وزوجته
مس «إليزابيث تمبل»
الأستاذ «وانستيد»
مستر «ريتشارد جيمسون»
مس «لوملي»
مس «بنتهام»
مستر «كاسبار»
مس «كوك»
مس «باروا»
مس «جين ماربل»

كان بين الركاب أربع سيدات عجائز، منهنّ اثنتان تسافران معاً وكلتاهما في نحو السبعين من العمر من النوع الذي لا يكفّ عن التبرّم والشكوى، فإذا أجلست في مقدمة السيارة طالبت بالجلوس في المؤخرة.. وإذا أجلست في مكانٍ ظليلٍ طلبت الجلوس في مكانٍ مشمس.

كان مجموع عدد الركاب فيما عداها هي ومسز «سانـدبورن» خمسة عشر راكباً.. ولما كانت قد أرسلت في هذه الرحلة بالذات فلا بد أن يكون لواحدٍ على الأقلّ من هؤلاء الركاب أهمّية خاصة. إمَّا كمصدرٍ للمعلومات أو لصلةٍ بالقانون أو بإحدى القضايا.. أو لأنّه مجرم ارتكب جريمة قتلٍ أو يتأهّب لارتكاب جريمة قتل.

كلّ شيءٍ ممكن مع مستر «رافيل»..

ومهما يكن من أمر فإنّها يجب أن تسجّل ملاحظاتها على هؤلاء الناس، فقد يكون بينهم من يستحقّ الاهتمام من وجهة نظر مستر «رافيل» أو من لديه معلومات تفيدها أو تفيد مستر «رافيل» أو تفيد

العدالة.. سواء كان يعلم ذلك أو يجهله..

ونظرت مس «ماربل» إلى العجوزين الأخريين.. كانتا في نحو الستّين. وإحداهما أنيقة تبدو من سيدات المجتمع.. وتتكلّم بصوتٍ مرتفع وبلهجة الأمر، وترافقها فتاة في نحو الثامنة عشرة من عمرها تدعوها العمّة «جيرالدين».

ورأت مس «ماربل» في المقعد الذي إلى يمينها رجلاً ضخم الجسم، عريض الكتفين بارز الفكّين.. كثّ الحاجبين.. يجلس بجوار رجلٍ كثير الحركة، جمّ النشاط، يتكلّم الإنجليزيّة بلكنةٍ أجنبيّة، ويبدي ملاحظاته أحياناً بالفرنسيّة والألمانيّة.

ونظرت مس «ماربل» إلى الرجلين مليًّا وقرّرت أنّ أوّلهما لا بد أن يكون الأستاذ «وانستيد» وأنّ الثاني هو مستر«كاسبار» وتساءلت ترى في أيّ موضوع يتحدثان بهذه الحماسة.

وأمام هذين الرجلين كانت تجلس سيدة تناهز الستين أو لعلّها تجاوزتها.. ولكنّها تحتفظ بمسحةٍ من جمالٍ رصين.. وتتميّز بجبينٍ مرتفع وصوتٍ هادىء واضح النبرات.

قالت مس «ماربل» لنفسها:

ـ لا شك أنّها شخصيّة لها مركزها.. إنّها تذكّرني بعميدة إحدى كليات «أكسفورد».

ومضت مس «ماربل» في تقييم الركاب

كان هناك رجل أمريكي دمث الخلق ومعه زوجته الثرثارة، ورجلٌ إنجليزيّ في نحو الخمسين يبدو أنّه ضابط متقاعد، فلم تتردّد مس «ماربل» في أن تختار لهما من بين الأسماء الواردة في القائمة إسم الكولونيل «ووكر» وزوجته.

وفي المقعد الذي وراءها كان يجلس رجلٌ طويل نحيف يناهز الثلاثين، تدلّ ألفاظه الفنّية على أنّه مهندس.

وفي المقاعد الأمامية، كانت تجلس امرأتان متوسّطتا العمر تسافران معاً، إحداهما سمراء نحيفة، والثانية شقراء مليئة الجسم، خيّل لمس «ماربل» أنها رأتها من قبل ولكنّها لم تعرف متى وأين.. ربما في حفلة كوكتيل أو في أحد القطارات..

بقي بعد ذلك مسافر واحد يجب عليها تقييمه.

كان شاباً في التاسعة عشرة أو العشرين من عمره، يرتدي الزيّ المناسب لأمثاله. ويطلق شعره على سجيته. وقد لاحظت مس «ماربل» أنّه يبدي اهتماماً بالفتاة التي ترافق العمّة «جيرالدين»، وأنّ الفتاة تبادله هذا الاهتمام.

وتناول المسافرون طعام الغداء في فندقٍ جميلٍ يطلّ على النهر، وقضوا الساعات التالية في زيارة معالم مدينة «بلنهايم». وعندما وصلوا إلى الفندق الذي سيقضون فيه ليلتهم، كان كلّ منهم قد عرف الآخر، وتوثّقت بين الجميع أواصر الألفة.

وقد لعبت مسز «ساندبورن» دوراً هاماً في هذا السبيل.

كانت نشيطة إلى أبعد حدود النشاط لبقة في تقريب المسافرين بعضهم إلى بعضٍ، فإذا رأت أحدهم يجلس وحيداً قالت له بصوتها الرقيق:

ـ لماذا لا تدع الكولونيل يصف لك حديقته..؟ إنّ لديه مجموعة من الزهور لا مثيل لها.

واستطاعت مس «ماربل» خلال ذلك أن تعرف أسماء المسافرين..

فالرجل ذو الحاجبين الكثيفين هو الأستاذ «وانستيد».. وزميله الذي يتكلّم الانجليزيّة هو مستر «كاسبار».

تماماً كما توقّعت..

والعمّة «جيرالدين» الأنيقة هي مسز «بورتر»..

والفتاة التي ترافقها هي «جوانا كروفورد» ابنة أخيها. .

أما الشاب ذو الشعر المشوش فهو «أملين برايس» ويبدو أنّ آراءه التقت مع آراء «جوانـا» في كثير من الأمور، كحب الفن والأدب، والنفور من السياسة والاقتصاد وما إليها.

بينما لاذت العجوزان اللتان تسافران معاً بمس «ماربل». وراحتا تبادلانها الحديث عن الروماتيزم والأطباء والعقاقير. وفهمت مس «ماربل» أنّهما قامتا برحلاتٍ كثيرةٍ في «أوروبا». وأنّهما تدعيان مس «لوملي» ومس «بنتهام». وتقيمان في «سومرست» وتجدان صعوبة في العثور على بستاني ماهر.

أما السيدتان المتوسطتا العمر اللتان تسافران معاً فهما مس «كوك» ومس «بارو». . وكانت مس «ماربل» على يقينٍ من أنّها سبق أن رأت أولاهما، ولكنّها لم تذكر قط متى أو أين. وقد خيّل إليها أنّهما يتجنّبانها. وأنّهما تسارعان إلى الابتعاد كلّما اقتربت منهما.

خمسة عشر شخصاً، أحدهم على الأقلّ له أهمّيته.

وفي المساء تعمدت مس «ماربل» أن تذكر اسم مستر «رافيل» في حديثها. . لترى وقعه في نفوسهم، ولكنّها لم تلاحظ شيئاً.

وعلمت مس «ماربل» أنّ السيدة الجميلة الأنيقة ذات الشخصيّة الواضحة هي مس «إليزابيث تمبل». وأنّها كانت تعمل ناظرة لإحدى مدارس البنات المشهورة ثم تقاعدت.

وأنّ المهندس النحيل الجسم هو «ريتشارد جيمسون». وخيّل إلى مس «ماربل» أنّه لا يوجد بين المسافرين من يمكن أن يكون قاتلاً سوى «كاسبار». . ولكن لعلّ سبب ريبتها فيه أنّه أجنبي.

- ٣ -

أوت مس «ماربل» إلى فراشها وهي متعبة منهوكة القوى.

كانت الرحلة ممتعة، ولكن محاولة تقييم خمسة أو ستة عشر راكباً لمعرفة ما إذا كان لأحدهم صلة بجريمة قتلٍ أتعبتها وأنهكت قواها.

وقبل أن تنام.. ألقت نظرةً أخرى على أسماء المسافرين

مسز «بورتر»..؟ إنّها سيدة مجتمع شديدة الاعتزاز بنفسها ومركزها ولا يمكن أن تقدم على ارتكاب جريمة.

«جوانا كروفورد»..؟ مثل عمّتها.

مس «إليزابيث تمبل»..؟ إنّها شخصيّة محترمة تشعّ نزاهةً ونبلاً.. إذا حدث وارتكبت جريمة.. فإنّها ترتكبها خدمة لغرضٍ إجتماعي أو هدفٍ من أسمى الأهداف.. ولكن لا.. إنّها سيدة متّزنةٌ العقل والتفكير.. تعرف دائماً ماذا تفعل.. ولماذا تفعله... ولا يمكن أن يغريها هدف مهما بلغ نبله إلى التورّط في الإثم.

ومع ذلك.. فإنها ربّما تكون الشخص الذي أراد «رافيل» أن أقابله في هذه الرحلة لسببٍ ما..

وعادت إلى استعراض المسافرين.

الأستاذ «وانستيد»..؟ ترى هل هو عالم أم طبيب.؟ إنّها شخصيًّا لا تعرف شيئاً عن العلم أو الطب، ولكن يبدو على الرجل أنّه إنسان طيّب القلب.

مستر «ووكر» وزوجته..؟ إنّهما أمريكيان. وليست لهما صلة بأحدٍ تعرفه.

مس «كوك» ومس «بارو»..؟ امرأتان عاديتان.. ولكنّها واثقة من أنّها رأت أولاهما في مكانٍ ما..

الكولونيل «ووكر» وزوجته..؟ إنّهما شخصان ظريفان ويبدو أنّ الرجل أمضى مدة خدمته في الخارج. وأكبر الظنّ أنّهما فوق الشبهات.

مس «بنتهام» ومس «لوملي»..؟ إنّهما من أبعد الناس عن

الجرائم.. وإذا كانت لديها معلومات فهي عن الروماتيزم وتصلّب الشرايين.

مستر «كاسبار»..؟ إنّه رجل سريع الانفعال وربّما كان خطراً؛ ولذا يحسن وضعه تحت الرقابة.

«أملين برايس»..؟ يبدو أنّه طالب.. ومن أبرز صفات الطلبة هذه الأيام العنف، ولكن هل يمكن أن يكون مستر «رافيل» قد أرادها أن تتعقّب طالباً..؟ إنّ ذلك يتوقّف على ما فعله الطالب أو ما يريد أن يفعله.. أو ما سوف يفعله.. آه.. يا إلهي.. إنّني تعبت.

وغلبها النعاس فنامت، ورأت فيما يرى النائم أنّ حاجبي الأستاذ «وانستيد» الكثّين قد سقطا.. واستيقظت على الأثر، وخيّل إليها أنّ هذا الحلم قد حلّ اللغز، وأنّ «وانستيد» لا بد أن يكون هو القاتل الذي يريدها «رافيل» أن تتعقّبه.

ولكنّها ما لبثت أن اعترفت بينها وبين نفسها بأنّ سقوط حاجبي «وانستيد» لم يحلّ شيئاً.

وجفا النوم عينيها فاعتدلت جالسةً في فراشها، وتناولت دفتر مذكراتها وكتبت ما يلي:

«من المحقق أنّ المهمّة التي أسندت إليّ تتعلّق بجريمةٍ ما.. فقد قال مستر «رافيل» ذلك صراحةً في رسالته.. قال إنّ لي حاسة سادسة فيما يتعلّق بالعدالة.. وذلك يستتبع بالضرورة أن تكون لي حاسة سادسة فيما يتعلّق بالجريمة.

وإذن فهناك جريمة.. وواضح أنّها ليست جريمة تجسّس، أو سرقة أو تزوير.. فهذه ألوان من الجريمة لم تمرّ بي، ولا دراية لي بها.

إنّ مستر «رافيل» لا يعرف عنّي سوى ما عرفه خلال إقامتنا في جزيرة «سان أونوريه».. فقد جمعت بيننا هناك جريمة قتل، ولا بد أنّه لاحظ وقتئذ: مبلغ ولعي بإماطة اللثام عن جرائم القتل التي تقع في

المنطقة التي أقيم بها . .

وأعتقد أن الوقت قد حان لتحليل المهمة التي أخذتها على عاتقي تحليلاً منطقياً . .

إنّ التعليمات التي وصلتني حتى الآن لا تكاد تذكر، ولذلك يجب أن أسأل نفسي سؤالاً صريحاً:

ـ ما مهمتي . . ؟

الجواب:

ـ لا أعلم.

ولمّا كان من الغريب حقاً أن يسند إلي مستر «رافيل» ـ وهو من رجال المال والأعمال الناجحين ـ مهمة مجهولة لا أعرف عنها شيئاً . . فيجب إذن أن أفهم أنّه لا يريد منّي سوى أن أعتمد على مواهبي وقوة ملاحظتي في تنفيذ التعليمات التي يصدرها لي صراحة أو تلميحاً.

ومعنى ذلك أنّ هناك تعليمات سوف أتلقاها . .

أما المهمة ذاتها فإنّها خاصة بالعدالة . . إمّا لتصحيح خطأ من أخطاء العدالة، أو الانتقام من مجرم بتقديمه إلى العدالة.

وذلك يتفق مع كلمة السر (عدالة السماء) . . التي ذكرها مستر «رافيل» في رسالته.

ولقد دبّر مستر «رافيل» قبل وفاته موضوع إشتراكي في الرحلة رقم ٣٧ من رحلات (جمعية القصور التاريخية والحدائق المشهورة) . .

لماذا . . ؟

ذلك ما يجب أن أتساءل عنه . .

ترى هل لمهمتي صلة بإحدى الحدائق أو أحد القصور التي سنزورها خلال الرحلة . . ؟

لا أعتقد ذلك . .

إذن فليس المهم هو القصور والحدائق . . إنّما المهم هم الناس

الذين يشتركون في الرحلة..

وليس بين هؤلاء الناس من أعرفه شخصياً.. ولكن لا بد أنّ بينهم واحداً على الأقل له صلة بجريمة قتل، أو بشخصٍ كان ضحيّة في جريمة قتل.. أو ربّما كان هو نفسه قاتلاً..»

وهنا كفّت مس «ماربل» عن الكتابة فجأة.. وهـزّت رأسها مراراً تعبيراً عن رضائها عن هذا التحليل.

الفصل السادس

حب

وفي اليوم التالي زاروا قصراً يرجع تاريخه إلى عهد الملكة «آن». ولم تكن الرحلة طويلة أو متعبة. وكان القصر جميلاً وله تاريخ شيّق.

وقد أعجب «ريتشارد جيمسون» ـ المهندس ـ بما رأى، ولما كان من الشباب الذين يلتذّون بسماع أصواتهم، فقد راح ينتقل بين الغرف ببطء شديد، ويتحدث عن المواقد والأعمدة والنقوش وإلقاء حديث خبير عليم.. ويقرن كلامه بذكر التواريخ والمراجع..

وأصغى إليه البعض باهتمامٍ في البداية، ثم استولى عليهم الملل فأخذوا ينفضون من حوله الواحد تلو الآخر.. وكان أشد الجميع تبرّماً هو مرشد القصر الذي ضايقه أن يغتصب المهندس الشاب اختصاصاته، ويستأثر بشرح معالم القصر، فحاول أن يمسك بزمام الموقف ولكنّ المهندس لم يمكنه من ذلك، وفي النهاية قام المرشد بمحاولةٍ أخيرة فقال:

هذه الغرفة سيداتي وسادتي هي الغرفة البيضاء وقد وجدت بها جثة شاب مطعون بخنجر. حدث ذلك في بداية القرن السابع عشر، وقيل إنّ الليدي «موفات» سيدة القصر كان لها عشيق تعوّد أن يدخل القصر من باب جانبيّ صغير، ثم يرقى السلّم ويتسلّل إلى هذه الغرفة من بابٍ سرّي بجوار المدفأة.. وذلك في غياب الزوج، السير «ريتشارد موفات» الذي كان وقتئذ في زيارةٍ «لهولندا»..

وقيل إنّ السير «موفات» عاد يوماً فجأة، وضبط العاشقين في حالة تلبس..

وكفّ المرشد عن الكلام، ونظر حوله.. وسرّه أن يرى اهتمام الموجودين وارتياحهم إلى حديثه بعد أن سئموا المعلومات الفنّية والهندسيّة التي أكرهوا على سماعها.

وهتفت مسز «بتلر» بلهجتها الأمريكيّة:

- يا لها من قصة ظريفة..

واشتدّ اللغط وكثرت التعقيبات على القصة فانتهزت مس «ماربل» وبعض السيدات الفرصة وتسلّلن إلى الخارج وهبطن الدرج إلى الطابق الأرضي.

وقالت مس «ماربل» تحدّث مس «كوك» ومس «بارو»، وكانتا تسيران بجانبها:

- لقد تعرضت إحدى صديقاتي ذات يوم لتجربةٍ تمزّق الأعصاب إذ دخلت قاعة المكتبة في صباح أحد الأيام فوجدت بها جثّة.

فقالت مس «بارو»:

- جثة شخص من أفراد الأسرة..؟ لا شك أنّه أصيب بأزمةٍ قلبيّةٍ...

- كلا.. كانت جريمة قتل.. وكانت الجثة لفتاةٍ غريبة ترتدي ثياب السهرة.. فتاة جميلة شقراء ولكن كان من الواضح أنّ شعرها مصبوغ.. وقد ظهر أنّ..

وكفّت عن الكلام ثم نظرت إلى مس «كوك»، وتعلّقت عيناها بخصلةٍ من الشعر الأشقر تتدلّى من تحت المنديل الذي تعصب به رأسها..

وتذكّرت فجأة.. وعرفت لماذا بدا وجه مس «كوك» مألوفاً ولماذا أحست بأنّها قد رأته من قبل..

لقد كان شعر مس «كوك» بنّياً داكناً.. أما الآن فإنّه شعر أشقر في لون سنابل الحنطة..

وفي هذه اللحظة.. لحقت بهن مسز «بورتر» بعد أن هبطت درج السلّم وقالت بحدة:

ـ الحق أنّي لم أعد أستطيع الصعود والهبوط أكثر مما فعلت، ثم إنّ الانتظار في الغرف متعب للغاية... أعتقد أنّ حديقة القصر وإن تكن صغيرة إلاّ أنّها مشهورة في دوائر فلاحة البساتين، فهلمّوا بنا إليها..

قالت ذلك بلهجتها الحاسمة المألوفة. وكانت النتيجة أنّ جميع الذين سمعوها.. خرجوا في أثرها إلى الحديقة.

وجلست مسز «بورتر» على مقعدٍ بجوار الكولونيل «ووكر».. بينما وقع اختيار مس «ماربل» على أقرب مقعد، فتهالكت فيه وهي تتنهّد بارتياح.. وما لبثت أن سمعت تنهيدة مماثلة صادرة من «إليزابيث تمبل» التي تبعتها وجلست بجوارها.

قالت هذه الأخيرة:

ـ إن تفقد هذه القصور أمر متعب ومثير للملل، خاصة حين يضطر الإنسان إلى الإصغاء إلى محاضرةٍ لا نهاية لها في كل غرفة.

فقالت مس «ماربل» في شيءٍ من السخرية:

ـ هذا صحيح.. إنّ جميع المحاضرات التي سمعناها اليوم كانت غاية في الطرافة.

ـ أتظنّين ذلك..؟

واستدارت المس «ماربل»، وتلاقت عيون المرأتين، في نظرةٍ يمتزج فيها المرح بالتفاهم المتبادل. وقالت مس «ماربل»:

ـ أتظنّينه أنت...؟

ـ كلا.

وهنا توثّق التفاهم التام بينهما، وساد الصمت بينهما لحظة، ثم بدأت «إليزابيث تمبل» تتحدّث عن الحدائق.. وعن حديقة ذلك القصر بصفةٍ خاصة قالت:

ـ لقد قام «هولاند» بتنسيقها بين عامي ۱۷۹۸ و ۱۸۰۰ ومات وهو في شرخ شبابه. وذلك أمر يؤسف له حقاً.. فقد كان عبقريّاً فذاً..

ـ من المحزن حقاً أن يموت الإنسان وهو في عنفوان شبابه.

ـ ربما.

ـ إنّ الذي يموت صغيراً تفوته أشياء كثيرة.

ـ إنّني ـ بعد أن بلغت هذه السن لا أتمالك من الإحساس بأنّ الموت المبكّر يعني ضياع الكثير من متع الحياة.

ـ وأنا التي قضيت حياتي كلها تقريباً بين الشباب أنظر إلى الحياة طالت أو قصرت كوحدةٍ زمنيّةٍ كاملةٍ..

فقالت مس «ماربل»:

ـ فهمت.. تعنين أنّ الحياة مهما كان طولها هي تجربة كاملة.. ولكن ألا تشعرين بأنّ الحياة قد تبدو ناقصة إذا انتهت في وقتٍ مبكر.؟

ـ هذا صحيح..

فنظرت مس «ماربل» إلى بعض الزهور القريبة منها وغمغمت قائلة بلهجة الإعجاب:

ـ ما أجملها..

فتحوّلت إليها «إليزابيث تمبل» وقالت:

ـ هل قمت بهذه الرحلة لرؤية القصور أو رؤية الحدائق..؟

ـ أظنّ أنّني قمت بها لرؤية القصور. إنّ ذلك لا يمنعني من الاستمتاع بالحدائق.. ولكنّ زيارة القصور بأشكالها المتباينة وأثاثها القديم ولوحاتها الثمينة هي تجربة جديدة بالنسبة إلي.

ثم استطردت قائلة بعد صمتٍ قصير:

ـ قد هيّأ لي هذه الرحلة صديق كريم. وأنا شاكرة له.. هل تعوّدت أنت الاشتراك في مثل هذه الرحلات الترفيهيّة..؟

ـ كلا.. وهذه الرحلة ليست بالنسبة إلي رحلة ترفيهيّة.

فحدّقت مس «ماربل» في وجهها.. وهمّت بأن تلقي سؤالاً ثم أمسكت.

وابتسمت مس «تمبل» وقالت:

ـ هل تتساءلين لماذا أقوم بهذه الرحلة..؟ وأضافت:

حسنٌ.. لماذا لا تحاولين أن تخمّني..؟

فنظرت إليها مس «ماربل» طويلاً ثم قالت:

ـ إنّ تخميناتي لن تعتمد على ما عرفته أو سمعت به عنك من أنك شخصيّة مشهورة، وأنّ مدرستك لها صيت ذائع.. وإنّما تعتمد على ما أراه أمامي.. إنّك تبدين في نظري كشخصٍ يقوم برحلةٍ من أجل الحج.

فساد صمتٌ عميق قطعته «إليزابيث تمبل» أخيراً بقولها:

ـ إنّك أحسنت التعبير.. نعم.. إنّها رحلة حجّ.

فقالت مس «ماربل» بعد لحظة:

ـ إنّ الصديق الكريم الذي أرسلني في هذه الرحلة ودفع كل نفقاتها قد توفي.. كان يدعى مستر «رافيل»، وكان واسع الثراء.. فهل سمعت عنه..؟

ـ «جيسون رافيل».. إنّني أعرفه بالاسم فقط ولكنّي لم أعرفه شخصيّاً ولم أقابله. لقد تبرّع بمبلغٍ كبيرٍ لمشروعٍ ثقافيّ كنت أهتمّ به.. نعم. إنّه كان غنيّاً كما تقولين وقد قرأت نبأً وفاته في الصحف منذ بضعة أسابيع. إذن فقد كان صديقاً قديماً لك..؟

ـ كلا.. إنّني قابلته منذ نحو عام فقط في إحدى جزر «الهند

الغربية» ولم أعرف عنه إلاّ القليل.. أعني عن حياته وأسرته وأصدقائه كل ما أعرفه عنه أنّه كان واسع الثراء.. وأنّه ـ كما يقول الناس ـ كان شديد الانطواء على نفسه.. فهل تعرفين أسرته. أو أي شخص يستطيع أن..

وتمهّلت قليلاً ثم استطردت قائلة:

ـ لشد ما يخجلني أن أبدو فضولية..

فصمتت «إليزابيث تمبل» نحو دقيقة ثم قالت:

ـ عرفت في وقتٍ ما فتاة كانت بين تلميذاتي في مدرسة «فالوفيلد».. لم تكن تمتّ بقرابةٍ فعليّةٍ لمستر «رافيل».. ولكنّها كانت مخطوبة لابنه..

ـ وهل تزوجته..؟

ـ كلا ـ

ـ لماذا..؟

ـ ربّما لأنّها كانت فتاة عاقلة بعيدة النظر.. والواقع أنّ الشاب لم يكن من الطراز الذي يتمنّاه الإنسان زوجاً لفتاةٍ يهمّه أمرها..

كانت فتاة رائعة الجمال، وعلى جانبٍ كبيرٍ من دماثة الخلق. ولا أعلم حقاً لماذا لم تتزوجه..

ثم تنهّدت واستطردت قائلة:

ـ وعلى كل حال فإنّها ماتت.

ـ كيف..؟

فنظرت «إليزابيث تمبل» إلى الزهور بضع لحظات وعندما تكلّمت بعد ذلك لم تنطق إلاّ بكلمةٍ واحدة.. بصوتٍ كرنين الجرس:

ـ الحب..؟

ـ إنّ الحب كلمة رهيبة بل لعلّها من أشد الكلمات رهبة في هذه الدنيا.

الفصل السابع

دعوة

اعترفت مس «ماربل» بالتعب وتخلّفت عن الزيارة التي تضمّنها برنامج بعد الظهر وقرّرت أن تقضي وقتها في الحديقة إلى أن يحين وقت تناول الشاي. وأيّدتها مس «ساندبورن» في ذلك وقالت إنّه عين الصواب.

وجلست مس «ماربل» في أحد مقاعد الحديقة وراحت تفكّر في الخطوة التالية وما ينبغي أن تفعله أو لا تفعله. إلى أن عاد زملاؤها فانضمّت إليهم في بهو الشاي.. وحرصت على أن تجلس على مائدة واحدة مع مس «كوك» ومس «بارو» وشغل المقعد الرابع حول نفس المائدة مستر «كاسبار»، ولكنّ مس «ماربل» لم تحفل به لعدم إجادته اللغة الانجليزيّة.

وبينما هم يتناولون الشاي، نظرت مس «ماربل» إلى مس «كوك» وقالت:

ـ لقد كنت واثقة من أنّنا تقابلنا. وعبثاً حاولت أن أتذكّر متى أو أين.. إنّ ذاكرتي لم تعد كعهدي بها فيما يختصّ بوجوه الأشخاص الذين أقابلهم.. ولكنّي على يقين من أنّني رأيتك في مكانٍ ما.

فهزّت مس «كوك» رأسها في ارتيابٍ ونظرت إلى صديقتها مس «بارو»، وكذلك فعلت مس «ماربل»، ولكن لم تجد ما تقوله لحلّ هذا اللغز.

قالت مس «ماربل»:

ـ إنّني أقيم في قرية «سانت ماري ميد» على بعد اثني عشر ميلاً من «لوموث». . وهي قرية صغيرة ولكنّها أخذت الآن في الاتساع، فهناك عشرات من المباني الجديدة تقام في أطرافها. . فهل حدث لك في وقتٍ ما أن أقمت في تلك المنطقة. . ؟

فقالت مس «كوك»:

ـ دعيني أفكّر. . إنّني أعرف «لوموث» جيداً وربّما.

وهنا ابتسمت مس «ماربل» فجأة وهتفت قائلة:

ـ آه. . طبعاً. . الآن تذكّرت. كنت في حديقتي ذات يوم وإذا بك تتحدّثين عبر السور. . . قلت لي إنّك تقيمين في القرية مع إحدى صديقاتك.

ـ طبعاً. . طبعاً. . يا لي من غبيّة. . الآن تذكّرتك. . لقد دار الحديث بيننا حول صعوبة العثور على بستاني يعرف مهنته حق المعرفة.

ـ ويومئذ ذكرت لي إسم الصديقة التي تقيمين معها. . ماذا كان اسمها. . ؟

ـ نعم. . كنت أقيم مع. .

وترددت لحظة كمن يحاول أن يتذكّر. فقالت مس «ماربل»:

ـ كانت تدعى مسز «سندرلاند». . . أليس كذلك. ؟

ـ كلا. . كلا. . إنّها كانت مسز. .

وهنا قالت مس «بارو» بثبات:

ـ مسز «هاستنجز». .

وعلى غير انتظارٍ صاح مستر «كاسبار»:

ـ «هاستنجز». . ؟ إنني رأيت مدينة «هاستنجز». . وكذلك مدينة «أيستبورن». . إنّها مدينة جميلة على شاطىء البحر.

قالت مس «ماربل»:

ـ إنّها لمصادفة عجيبة.. من كان يظنّ أنّنا سنلتقي مرة أخرى بمثل هذه السرعة..

فقالت مس «كوك»:

ـ لا عجب ما دمنا جميعاً من هواة الحدائق.

فقال «كاسبار»:

ـ إنّ الزهور جميلة.. وأنا أحبّها..

وهنا انطلقت مس «ماربل» تتحدّث عن الزهور حديثاً فنياً.. اشتركت فيه مس «كوك»، وأبدت مس «بارو» بعض الملاحظات.. أمّا «كاسبار» فإنّه غرق في لجّةٍ من الصمت.

* * *

وعندما خلت مس «ماربل» إلى نفسها قبل العشاء. أخذت تستعرض حصيلتها من المعلومات الجديدة.

لقد اعترفت مس «كوك» بأنّها كانت في «سانت ماري ميد».. وأنّها مرّت ببيتها.. وقالت إنّ ذلك كان مجرّد مصادفة.. فهل كانت مصادفة حقاً..؟ أم أنّها ذهبت إلى هناك لغرضٍ ما.. أو أنّها أرسلت إلى هناك عمداً. ولكن لماذا؟..

قالت لنفسها بصوتٍ مرتفع:

ـ إنّ أيّة مصادفة يجب أن تظلّ موضع الاهتمام إلى أن يثبت أنّها كانت مجرّد مصادفة.

كانت مس «كوك» ومس «بارو» تبدوان كأيّة صديقتين عاديتين تقومان برحلةٍ كما اعتادتا أن تفعلا كل عام. فقد ذهبتا في العام السابق ـ على حد قولهما ـ إلى «هولندا».. وذهبتا في العام الأسبق إلى «أيرلندا الشمالية»..

وهما شابتان لطيفتان.. ولكن مس «كوك» تردّدت لحظة كما لو

كانت تريد إنكار زيارتها للقرية، ثم نظرت إلى صديقتها كما لو كانت تسألها الرأي فيما يجب أن تقوله.. وواضح أنّ مس «بارو» هي صاحبة الكلمة العليا..

وهزّت مس «ماربل» كتفيها وقالت لنفسها:

- ربّما كان كل ذلك مجرّد أوهام وخيالات... ولعلّهما مجرّد امرأتين ساذجتين لا أهمّية لهما.

* * *

وتناولت برنامج الرحلات..

إنّ رحلة اليوم التالي ستكون شاقة وستبدأ في ساعةٍ مبكرةٍ، وهي تتضمّن السير مسافات طويلة على شاطىء البحر. ألا يحسن بها أن تتخلّف عن هذه الرحلة أيضاً لتقضي يومها في الفندق.؟

وفي اليوم التالي، بينما كانت مس «ماربل» في طريقها إلى قاعة الطعام بالفندق لتناول الغذاء، إذا بسيدةٍ ترتدي ثوباً من الصوف تدنو منها وتقول لها بصوتٍ ينمّ عن توتّر أعصابها:

- معذرة.. هل أنت مس «ماربل».. مس «جين ماربل».؟

فأجابت مس «ماربل» في شيىءٍ من الدهشة:

- نعم.. ذلك هو اسمي.

- أنا أدعى مسز «جلين».. «لافينيا جلين».. وأقيم مع شقيقتي على مقربةٍ من هنا.. وقد علمنا أنّك ستحضرين..

- علمتنّ أنّني سأحضر..؟

- نعم.. فقد جاءتنا منذ نحو ثلاثة أسابيع رسالة من صديقٍ لنا طلب إلينا فيها أن نذكر تاريخ اليوم.. لأنّه اليوم الذي سيصل فيه أعضاء الرحلة التي نظّمتها جمعيّة القصور التاريخيّة والحدائق المشهورة وقال إنَّ إحدى صديقاته.. أو قريباته.. لا أذكر تماماً.. ستكون بين أعضاء الرحلة..

وبدت الدهشة واضحة على وجه مس «ماربل»، فقالت مسز «جلين»:

ـ الصديق الذي أعنيه هو مستر «رافيل». .

ـ مستر «رافيل». .؟ آه. . هل تعلمين أنه. .

ـ أنّه توفي. .؟ وأعتقد أنّه توفي بعد كتابة تلك الرسالة بوقتٍ قصير. ولكنّنا أحسسنا بأنّ علينا واجباً مقدساً هو تنفيذ جميع رغباته. لقد قال لنا في رسالته إنك ربّما ترغبين في الإقامة معنا يوماً أو يومين لأنّ برنامج الرحلة في هذه المرحلة شاق للغاية وقد لا يلائم المتقدّمين في السنّ. لأنّه يتضمّن السير مسافات طويلة. . . وارتقاء بعض التلال والمرتفعات. . وأنا وشقيقتاي يسعدنا كثيراً أن تقيمي معنا في بيتنا الذي لا يبعد عن الفندق سوى مسيرة بضع دقائق.

فتردّدت مس «ماربل» لحظة.

لقد أعجبتها مسز «جلين» بجسمها المليء ووجهها الصبيح ووجنتيها الموردتين. . وشدة حياتها. .

ثم إنّ هذه هي تعليمات مستر «رافيل». . ترى هل أراد بهذه التعليمات أن يحدّد لها خطوتها التالية. .؟

لا بد أن يكون الأمر كذلك.

وتحوّلت إلى مسز «جلين» التي كانت تنظر إليها بقلقٍ وقالت:

ـ شكراً لك. . لسوف يسرّني أن أقيم معكنّ.

الفصل الثامن

الشقيقات الثلاث

وقفت مس «ماربل» أمام النافذة ونظرت إلى الحديقة بعينين لا تريان ما أمامها . .

لم يكن مألوفاً ألا تلقي على ما ترى من حدائق نظرة رضى أو نظرة استنكار ولكنَّ الحديقة التي امتدت أمامها هذه المرة كانت بقعة أرض مهملة لم يبذل فيها جهد أو مال منذ سنوات عديدة.

كذلك كان البيت والأثاث . .

جميع الدلائل تدلّ على أنّ هذا البيت الذي يطلقون عليه اسم (البيت القديم) لم يحظ منذ وقت طويل بشيء من العناية أو الحب. رغم ما يبدو فيه من متانة البناء وجمال التنسيق . .

لقد تداولته أجيال من البنين والبنات رحلوا جميعاً وانتهى أمره أخيراً - كما فهمت مس «ماربل» من كلام مسز «جلين» وهي ترشدها إلى الغرفة التي خصّصت لإقامتها - إلى مسز «جلين» وشقيقتيها . . اللائي ورثنه عن عمّ لهنّ . . وقد جاءت مسز «جلين» للإقامة فيه مع أختيها بعد أن توفي زوجها . . ثم مرت الأعوام وتقدّمت بالشقيقات الثلاث السنّ، وقلّ إيرادهمّ . . فعجزن عن استخدام من يعنى بأمر البيت والحديقة.

كذلك فهمت مس «ماربل» من حديث مسز «جلين».. أنّها الأخت الوسطى وأنّها الوحيدة التي تزوجت.. أمّا أختاها الكبرى والصغرى فقد ظلّتا عانستين.

ولم يكن في البيت أيّ أثرٍ من آثار الأطفال.. لا كرة.. ولا مقعداً صغيراً.. ولا عربة أطفال.

كان البيت، بيت شقيقات ثلاث فحسب.. ولكنّهنّ ثلاث شقيقات رقيقات مهذبات.. من الطراز الذي كانت مس «ماربل» في أعماقها تصفهنّ بأنّهنّ سيدات كريمات أخنى عليهنّ الدهر.

ولكنّ السيدات الكريمات في هذه الأيام قلّما تنقطع بهنّ الأسباب إلى حد التداعي تحت وطأة الفقر.. إنّهنّ يتلقّين المعونات من الحكومة والجمعيّات وأقاربهنّ الأغنياء.. أو من أشخاص من مثل مستر «رافيل».

إنّ وجودها الآن في هذا البيت القديم يؤكّد هذه الصلة بين مستر «رافيل» والشقيقات الثلاث.

لقد عرف الرجل قبل أربعة أو خمسة أسابيع وعلى وجه التقريب اليوم الذي سيموت فيه.. فرسم خطّته بنفس الدقة التي يتوخّاها في عقد صفقاته الماليّة.

وليس ثمّة شك في أنّ الرجل كانت له مشكلة خاصة تضايقه وتزعجه.. مشكلة لا يستطيع حلّها بنفسه لأنّه مريض طريح الفراش.. ولا ينفع في حلّها وفرة المال أو مهارة المحامين.

قالت مس «ماربل» لنفسها مستطردة:

ـ ولهذا فكّر في..

فكّر في أنّ لها من الصفات ما يؤهّلها لحلّ مشكلته.

ولكن ما مؤهّلاتها..؟

هواية فلاحة البساتين.. ومعالجة الجرائم التي تقع في محيطها..

من المؤكّد أنّ مشكلته لم تكن مشكلة حدائق.. إنّها إذن جريمة.

ولكن أين وقعت هذه الجريمة..؟

لقد بدأ مستر «رافيل» بتدبير الأمر مع المحامين.. وقام المحامون بما هو مطلوب منهم.. وأرسلوا خطابه إليها في الوقت المناسب.. وكان الخطاب مكتوباً بعناية.. ولكنّه لم يوضح المشكلة.. ولم يحدّد مهمّتها..

ثم لماذا لم يرسل الرجل في طلبها قبل موته ليحدّثها عن مشكلته..؟ ولكن لا.. إنّ ذلك يتعارض مع طبيعته إنّه لا يحبّ أن يرجو أحداً.. لقد تعوّد أن يأمر وأن يدفع ثمن الخدمات التي تقدّم إليه.. وإذا كان قد حدّد لمهمّتها ذلك المبلغ الضخم.. فإنّما فعل ذلك لإثارة فضولها.. لا لإغرائها، ولعلّه لم يذكر مشكلته بالتفصيل، حتى لا تتأثّر بوجهة نظره فيها، فإنّ الإنسان لا يستطيع أن يتحدّث عن أمرٍ إلى شخصٍ آخر، دون أن تفلت منه كلمة أو عبارة تعبّر عن وجهة نظره الخاصة.. ومن المحتمل فضلاً عن ذلك ألّا يكون مستر «رافيل» قد اطمأنّ إلى صواب رأيه في المشكلة. خاصة وهو مريض مرضاً ربّما أشفق منه على سلامة تفكيره وحسن تقديره للأمور.. ولذلك آثر أن يترك لها الحرية لتفكّر كما تشاء، وتستنتج ما تشاء..

والآن.. لتعد إلى جوهر الموضوع..

إنّها الآن في البيت القديم حيث تقيم الأخوات الثلاث، «كلوتيلد» و «لافينيا» (مسز «جلين») و «أنثيا»، وقد دبّر مستر «رافيل» أمر زيارتها لهذا البيت قبل بضعة أسابيع من وفاته ولعلّ ذلك كان أوّل إجراء اتخذه بعد أن فرغ من إصدار تعليماته إلى محاميه.

ومعنى هذا أنّها أرسلت إلى هذا البيت لغرضٍ معيّن، فهل للشقيقات الثلاث صلة باللغز الذي يراد منها حلّه؟ أو هل في هذا

البيت من الآثار أو الأدلّة ما يمكن أن يرشدها إلى اللغز وحلّه. .؟

ذلك ما كانت تفكّر فيه مس «ماربل» وهي تطلّ من نافذة غرفتها، وتنظر إلى الحديقة بعينين لا تبصران ما أمامهما.

* * *

وطرق الباب، ودخلت «لافينيا» (مسز «جلين») وقالت:

ـ أرجو أن تكون الغرفة قد راقتك. . هل أساعدك في إخراج ثيابك من الحقيبة وإعدادها. .؟ هناك امرأة لطيفة تتردّد علينا للمساعدة في أعمال البيت ولكنّها لا تحضر إلا صباحاً.

ـ شكراً لك يا مسز «جلين». . إنّني لن أخرج من ثيابي إلاّ ما قد أحتاج إليه خلال إقامتي القصيرة هنا.

ـ لقد خطر لي أن أدلّك على السلّم، فإنّ البيت مترامي الأطراف وبه سلّمان وكثيراً ما يضلّ فيه الغرباء طريقهم.

ـ هذا كرم منك يا مسز «جلين».

ـ أرجو إذن أن تهبطي إلى الطابق الأرضي لكي نتناول معاً قدحاً من الشراب قبل الغداء.

فوافقت مس «ماربل» وتبعت مضيفتها ولاحظت وهي تسير خلفها أنّها أصغر منها سنّاً بكثير. . فهي لا تتجاوز الخمسين من عمرها.

وأخذت مس «ماربل» تهبط درج السلّم في حذرٍ مستعينة في ذلك بالحاجز الخشبي، ولم تتمالك من أن تهتف بإعجاب:

ـ إنّه بيت جميل حقاً. . وأعتقد أنّه بني حوالي سنة ١٧٠٠، أليس كذلك. .؟

ـ إنّه بني سنة ١٧٨٠.

وقادت «لافينيا» ضيفتها إلى قاعة الاستقبال وهي غرفة فسيحة،

بها بضع قطعٍ ثمينة من الأثاث تنتمي إلى عصور مختلفة.

وكانت «كلوتيلد» و «أنثيا» تنتظران هناك فما أن أبصرتا مس «ماربل» حتى خفّتا لاستقبالها فقدّمت إليها إحداهما مقعداً وقـدّمت إليها الأخرى قدحاً من شراب (الشيري).

وقالت «كلوتيلد»:

ـ هل يلائمك هذا المقعد المرتفع يا مس «ماربل».. ؟

ـ إنّني أوثره على سواه.. بسبب آلام الظهر.

وكانت «كلوتيلد» ـ كبرى الشقيقات الثلاث ـ طويلة القامة، مهيبة الطلعة، سمراء البشـرة سوداء الشعـر أمّا الصغـرى «أنثيا». فكانت نحيفة، وشعرها الأشقر الذي خطه الشيب يتدلى على كتفيها بلا اعتناء.

وهكذا وجدت مس «ماربل» نفسها وجهاً لوجه أمام الشقيقات الثلاث: «كلوتيلد ولافينيا وأنثيا»..

كانت «كلوتيلد» وسيمة أنيقة..

وكانت «لافينيا» بسيطة المظهر ضاحكة السن..

أمّا «أنثيا» فلها عينان رماديتان وساعتان.. وجفن يختلج بين الفينة والفينة بحركةٍ عصبية.. وكانت لها طريقة عجيبة في النظر يميناً ثم يساراً ثم إلى الخلف من فوق كتفها كما لو كانت تشعر بأنّ هناك من يراقبها طوال الوقت..

* * *

وتجاذب النساء الأربع أطراف الحديث، ثم انصرفت «لافينيا» إلى المطبخ، ويبدو أنّها كانت أكثر الشقيقات اهتماماً بشئون البيت، فاستمرّ الحديث بدونها وتناول قصة البيت القديم فقالت «كلوتيلد» إنه كان ملكاً لعمّها، فلمّا توفي، انتقلت ملكيته إليها هي وأختيها..

واستطردت قائلة:

ـ كان لعمّي إبن وحيد ولكنّه قتل في الحرب، ونحن الآن آخر سلالة الأسرة.

فقالت مس «ماربل» وهي تجيل البصر حولها:

ـ إنّه بيت جميل، شيّد بعناية..

فقالت «كلوتيلد»:

ـ نعم.. ولكنّنا نتمنّى لو أنّه كان أقلّ اتساعاً.

فقالت مس «ماربل»:

ـ الواقع أنّ الترميمات تتكلّف كثيراً هذه الأيام.

ـ لقد رأينا بعض أجزاء منه تتداعى تحت أبصارنا دون أن نستطيع أن نفعل شيئاً... وكان في الحديقة بيت كبير للزهور والفاكهة. ولكنّه انهار فلم يبق منه إلاّ الحطام.

فقالت «أنثيا»:

ـ كانت تنمو به أنواع من الأعناب والفاكهة لا مثيل لها لشد ما أشعر بالأسف لانهياره.. ثم جاءت الحرب فلم نستطع استخدام بستانيّ للعناية بالحديقة.

وتنهّدت الأختان، تنهيدة من يرى الزمن يمرّ.. والظروف تتغيّر. ولكن ليس إلى أفضل..

وقالت مس «ماربل» لنفسها:

ـ إنّ في هذا البيت حزناً لا يمكن إزالته.. لأنّه تغلغل في الأعماق..

ومرّت بجسدها رعدة.

* * *

الفصل التاسع

الحديقة

كان طعام الغذاء جيداً، وقد تناولته مس «ماربل» ومضيفاتها في قاعة فسيحةٍ تزيّن جدرانها صور بعض أفراد الأسرة، ودار الحديث عن الرحلة، فقالت «كلوتيلد»:

ـ هل كان مستر «رافيل» صديقاً قديماً لك..؟

ـ ليس بمعنى الكلمة.. فقد قابلته لأوّل مرة خلال رحلة إلى جزر «الهند الغربية» أعتقد أنّه قام بها للاستشفاء.

فقالت «أنثيا»:

ـ هذا صحيح.. فإنّه كان مشلولاً خلال السنوات الأخيرة.

فقالت مس «ماربل»:

ـ إنّني أعجبت بنشاطه وقوة مقاومته.. فقد كان يعمل طوال النهار، ولا يكفّ عن إملاء الرسائل وإرسال البرقيات ولم يستسلم للمرض.

فقالت «لافينيا»:

ـ إنّنا لم نره كثيراً خلال الأعوام الأخيرة ولكنّه كان يذكرنا دائماً في أعياد الميلاد.

وسألت «أنثيا»:

ـ هل تقيمين في «لندن» يا مس «ماربل»..

ـ كلا.. إنني أقيم في الريف في قريةٍ صغيـرةٍ بالقـرب من «لوموث» تبعد عن «لندن» نحو خمسة وعشرين ميلاً..

ثم استطردت قائلة:

ـ أظنّ أن مستر «رافيل» كان يقيم في «لندن». إنني لاحظت العنوان الذي سجّله في دفتر الفندق بجزيرة «أونوريه». وهو «ميدان أيتون».. أو «ميدان بلجريف».. لست أذكر تماماً.

فقالت «كلوتيلد»:

ـ كان له كذلك بيت في «كنت» اعتاد أن يدعو إليه أصدقاءه من رجال الأعمال.. ولكنّنا لم نزره هناك قط.. كنّا نراه فقط كلّما ذهبنا إلى «لندن».. وكان يحتفي بنا ويكرّم وفادتنا.

فقالت مس «ماربل»:

ـ الحق أنّه كان كرماً منه أن يقترح عليكنّ استضافتي هنا.. فما كنت أتوقّع من رجل أعمالٍ كثير المشاغل أن يتذكّر أمراً كهذا..

ـ إنّنا دعونا من قبل أصدقاء له كانوا في مثل هـذه الرحلة والواقع، أنّ هذه الرحلات مهما بلغ من دقّة برامجها لا يمكن أن تلائم الجميع.. فالشباب مثلاً لا يضيرهم أن يسيروا مسافات طويلةٍ، أو أن يرقوا التلال والمرتفعات، أمّا كبار السنّ الذين لا يستطيعون ذلـك فإنّهم يفضّلون البقاء في الفنادق.. والفنادق هنا لا تتوفّر فيها أسباب الراحة. أنا واثقة من أنّ رحلة اليوم ما كانت لتلائمك وكذلك رحلة الغد التي أعتقد أنّها ستكـون إلى إحدى الجـزر في قاربٍ تتقـاذفه الأمواج..

فقالت «لافينيا»:

ـ إنّ زيارة القصور ذاتها متعبة للغاية.

فقالت مس «ماربل»:

ـ نعم.. إنّها متعبة.. وأعتقد أنّه ما كان ينبغي علي أن أشترك

في مثل هذه الرحلات. . ولكنّ المباني القديمة والأثاث النادر واللوحات الثمينة. . كلّها مغريات يتعذّر مقاومتها.

كان كلّ شيءٍ ممتعاً وطبيعيّاً. . ولكنّها لسببٍ ما كانت تشعر بأنّ أعصابها متوتّرة وبأنّ هناك شيئاً غير طبيعي.

وبعد الطعام، رافقتها «أنثيا» في نزهة بالحديقة. . ولكنّها كانت نزهة محزنة. . فكلّ شيءٍ حولها يدلّ على أنّه كانت هناك في يومٍ ما حديقة يانعة معنى بها، وحقل لزراعة الخضر التي يحتاج إليها البيت.

وسارت «أنثيا» بجوارها، والهواء يعبث بشعرها الطويل. . وراحت تتكلّم بلهجةٍ عصبيّةٍ وعبارات مقتضبة.

قالت:

ـ أظنّ أنّ لديك حديقة جميلة.

فأجابت مس «ماربل»:

ـ إنّها صغيرة جداً.

وسارتا في طريقٍ مليءٍ بالأعشاب، حتى وصلتا إلى شبه تلّ صغيرٍ قائمٍ بجوار جدار السور وهنا قالت «أنثيا» بحزنٍ:

ـ هوذا بيت الزهور.

ـ حيث كانت توجد أشجار الكروم.

ـ نعم. . كانت إحداها تنتج أعناباً بيضاء صغيرة شديدة الحلاوة. وأخرى تنتج أعناباً زكيّة الرائحة. .

ـ ذلك النوع الذي يطلق عليه إسم «شيري باي». . نعم إنّ شذاه كالعطر. . ولكن. . هل سقطت هنا قنبلة أطاحت ببيت الزهور. . ؟

ـ كلا. . لم تسقط قنابل في هذه المنطقة ولكنّ البيت تداعى وانهار، ولم يكن لدينا المال الكافي لترميمه أو إعادة بنائه. وحتى لو أعدنا بناءه لما استطعنا صيانته والإفادة منه لعدم وجود البستاني الماهر.

أنظري كيف نبت العشب بين الأنقاض.

ـ نعم.. العشب والنباتات المتسلّقة السريعة النمو إنّها تتكاثف بسرعةٍ تفيد في إخفاء المباني المتهدّمة.. والمناظر الكريهة.. ولكنّها إلى جانب ذلك تقتل كلّ ما حولها من زهرٍ أو نبات.. هل كان بيت الزهور كبيراً..؟

فأجابت «أنثيا» في حزنٍ:

ـ نعم.. وكان حافلاً بأشجار الخوخ..

قالت ذلك وأشاحت بوجهها، وسارت في طريقٍ متعرّجةٍ بمحاذاة الجدار.. وأسرعت الخطى كمن يريد الفرار من شيءٍ مقيتٍ، حتى عجزت مس «ماربل» عن اللحاق بها..

ترى هل كانت الفتاة تشعر بالخجل ممّا آل إليه أمر بيت الزهور..؟

قالت الفتاة:

ـ إنّ لدينا حقلاً للزهور التي لا تحتاج إلى عناية بستانيّ متمرّس.. ثم سألت فجأة:

ـ هل تقومين دائماً بمثل هذه الرحلة..

ـ تعنين رحلة جمعيّة القصور التاريخيّة والحدائق المشهورة..؟

نعم.. بعض الناس يقومون بها كلّ عام.

ـ إنّ تكاليفها باهظة وفوق ما أطيق.. وهذه الرحلة هديّة من صديقٍ لي بمناسبة عيد ميلادي.

ـ كنت أتساءل عمّا يحملك على الإشتراك في رحلةٍ متعبةٍ كهذه.. ولكن ما دمت قد تعوّدت السفر إلى جزر «الهند الغربية» وأمثالها..

فقاطعتها مس «ماربل»:

ـ وهذه أيضاً كانت منحة من ابن أخي..

ـ آه. . .

ـ لا أدري في الحق ماذا يكون من أمرنا نحن العجائز بدون الشباب. . إنّهم كرام ظرفاء. أليسوا كذلك. .؟

ـ في الحق لا أعلم. . فليس لنا أقارب في سن الشباب.

ـ أليس لأختك «لافينيا» أولاد. .؟

ـ كلا. . وربّما كان ذلك أفضل.

فقالت مس «ماربل» لنفسها وهي تسير مع مضيفتها في الطريق إلى البيت:

ـ ترى ماذا تعني بذلك. .؟

الفصل العاشر

الأيام التي مضت

- ١ -

في منتصف الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي طرق باب مس «ماربل» ودخلت امرأة متقدّمة في السن، تحمل صحفة عليها إناء شاي، وقدح، ووعاء لبن وبعض الخبز والزبد.

قالت المرأة بصوتٍ مرح:

- طاب صباحك يا سيدتي.. لقد أعددت لك الشاي.. إنّه ليوم صحو جميل.. وهأنذا أرى أنّك أزحت الستار عن النافذة.. هل نمت جيداً..؟

فأجابت مس «ماربل» وهي تضع جانباً كتاباً دينيّاً كانت تقرأه:

- نعم. شكراً.

- إنّ زملاءك سيقومون اليوم برحلةٍ شاقةٍ.. أحسنت صنعاً بعدم مرافقتهم.

- الواقع أنّني سعيدة بالبقاء هنا.. وقد كان كرماً من مسز «جلين» («لافينيا») وأختيها أن يدعونني للإقامة معهنّ.

- وكان ذلك خيراً لهنّ أيضاً.. إنّ وجود ضيوف يسري عنهنّ.. فالبيت كئيب في هذه الأيام.

قالت ذلك ونظمت بعض قطع الأثاث، ووضعت زجاجة مليئة

بالماء الدافىء وسط حوض صغير على حافة المدفأة واستطردت قائلة:
- يوجد حمام في الطابق الثاني. ولكنّي جئتك بماء دافىء حتى لا تتكلّفي عناء صعود السلّم.
- شكراً لك.. يخيّل إلي أنّك تعرفين هذا البيت جيداً.
- إنّني حضرت إليه وأنا فتاة صغيرة، وعملت فيه كوصيفة.. كان هناك وصيفتان وثلاثة خدم وطاه، وخادمة مطبخ.. ذلك في عهد الكولونيل.. كان لديه كذلك عدد من الخيول، وسائق.. تلك أيام لن تعود.. أيام كانت السعادة فيها ترفرف على هذا البيت، ثم جاءت الأحزان وتوالت.. فماتت زوجة الكولونيل في ريعان شبابها، وقتل ابنه في الحرب، وتزوجت ابنته الوحيدة ورحلت مع زوجها إلى «نيوزيلندا» وماتت أثناء الوضع.. وبقي الكولونيل هنا وحيداً حزيناً.

وأهمل البيت حتى تداعى. ثم مات وترك البيت لبنات أخيه مس «كلوتيلد» وأختيها، وجاءت مس «كلوتيلد» ومس «أنثيا» للإقامة فيه، ثم انضمّت إليهما مس «لافينيا» بعد وفاة زوجها.

وتنهّدت العجوز وهزّت رأسها بحزن واستطردت قائلة:
- ولم يكن في استطاعتهن عمل شيء لصيانة البيت أو الحديقة..
- كل هذا يدعو للأسف حقاً.
- وخاصة بالنسبة إلى الشقيقات الثلاث.. إنّهن من أنبل السيدات وأكرمهن.. ربّما كانت مس «أنثيا» شخصيّة مهزوزة.. ولكن «كلوتيلد» تخرّجت في الجامعة وهي متوقّدة الذكاء وتتكلّم ثلاث لغات. أما مسز «جلين» فإنّها على جانب عظيم من الظرف ودماثة الخلق.. وقد ظننت عندما جاءت أن الأمور ستتحسّن ولكن لا أحد يعلم ما يخبّئه القدر.. إنّني أشعر أحياناً كأنّ اللعنة حلّت على هذا البيت..

فنظرت إليها مس «ماربل» متسائلة.. وقالت العجوز:

ـ لقد توالت الكوارث واحدة بعد أخرى.. سقطت أولاً إحدى الطائرات في «إسبانيا» وقتل ركابها جميعاً وبينهم إحدى صديقات مس «كلوتيلد» وزوجها.. وكان لتلك الصديقة وزوجها ابنة في المدرسة لم تذهب مع أبويها فنجت من الموت، وجاءت بها مس «كلوتيلد» إلى هذا البيت لتقيم معها.. واصطحبتها في رحلاتٍ إلى «إيطاليا وفرنسا»، وعاملتها كابنتها كانت فتاة سعيدة لطيفة.. لا يتصوّر إنسان أن يحدث لها ما حدث..

ـ وماذا حدث لها..؟ وهل حدث هنا..؟

ـ كلا.. حمداً لله إنّه لم يحدث هنا.. وإن كان بوسعك أن تقولي إنه بدأ هنا.. فهنا قابلته لأوّل مرة.. كان في هذه المنطقة وكانت الشقيقات الثلاث يعرفن أباه.. وهو رجل غني جداً.. فجاء لزيارتهن وكانت هذه في البداية..

ـ ووقع كلّ منهما في حب الآخر..

ـ نعم.. إنّها أحبّته من أول نظرة.. كان شاباً وسيماً حلو الحديث.. لا يمكنك أن تتصوّري بحالٍ أنّه..

ـ هل انتهت قصة الحب نهاية سيئة وانتحرت الفتاة..؟

ـ انتحرت..؟ من قال لك ذلك..؟ إنّها كانت جريمة قتل صارخة.. لقد خنقت المسكينة وهشّم رأسها وشوّهت معالم وجهها، وذهبت مس «كلوتيلد» للتعرّف عليها.. فكانت صدمة لم تبرأ منها حتى الآن.

وقد وجدت الجثة على بعد ثلاثين ميلاً من هنا، وسط الأعشاب في محجرٍ مهجورٍ، وقيل إنّ تلك الجريمة لم تكن أولى جرائم الشاب، وإنه قتلَ بضع فتياتٍ قبل ذلك..

وكانت الفتاة المسكينة قد اختفت منذ ستة شهور، وبحث عنها

البوليس في كلّ مكان، إلى أن وجد جثّتها في المحجر. .

ألا تباً لذلك الفتى الشرير. . لقد كان شيطاناً رجيماً منذ نعومة أظفاره.

يقولون الآن إنَّ هناك مرضى بعقولهم يرتكبون الجرائم مكرهين. . فهم لا يسألون عما يفعلون. . أما أنا فأقول أنّ هذا هراء. . وإنَّ القاتل يجب أن يلقى جزاءه في جميع الأحوال. .

ـ وماذا فعلوا بذلك الشاب. . ؟

ـ أظنّ أنّ عقوبة الإعدام كانت قد ألغيت. . أو أنّه نجا من المشنقة لصغر سنّه. . ومهما يكن الأمر فإنّهم وجدوه مذنباً وأرسلوه إلى إحدى الإصلاحيّات.

ـ ماذا كان اسم هذا الشاب. . ؟

ـ كان اسمه «**مايكل**». . ولا أذكر لقبه. . إنّ الجريمة حدثت منذ عشرة أعوام. . ولا يمكن أن أذكر لقبه بعد كل هذه السنين. . إنّه كالأسماء الإيطالية وهو يقترن في ذهني باسم صورة. . أو فنّان. . «**أفاييل**». . أو «**رافي**». .

ـ «**مايكل رافيل**».

ـ هو ذاك. . وقد أشيع أنّ أباه واسع الثراء وأنّه استطاع تهريبه من السجن. . ولكنّي أعتقد أنّ ذلك كان مجرّد إشاعة. .

* * *

إذن فالفتاة لم تنتحر. . وإنّما قتلت. .

لقد قالت «**إليزابيث تمبل**» إنّ (الحب) كان السبب في موت الفتاة. وذلك صحيح إلى حد ما. . فقد أحبّت الفتاة قاتلاً. . وبسبب هذا الحب لقيت حتفها.

- ٢ -

في ذلك الصباح، عندما هبطت مس «ماربل» إلى الطابق الأول لم تجد واحدة من مضيفاتها، ربّما لأنّ الوقت كان مبكراً.. ففتحت الباب وأخذت تطوف بالحديقة، ليس لأنّها كانت معجبة بها، وإنّما لأنّها أحسّت إحساساً غامضاً بأنّ فيها شيئاً جديراً بالملاحظة.. شيئاً يمكن أن يوحي إليها بفكرة.. ولكنّها لا تعرف بالتحديد ما هو..

ولم يكن يهمّها في ذلك الوقت أن تقابل إحدى الشقيقات لأنّها كانت بحاجة إلى الهدوء.. لكي تفكّر فيما سمعته من الخادمة العجوز «جانيت».

وجدت أحد أبواب الحديقة مفتوحاً، فخرجت منه وسارت في شارع القرية، ومرّت ببعض الحوانيت الصغيرة ووجدت نفسها وجهاً لوجه أمام كنيسة القرية فدخلتها..

كانت كنيسة قديمة يرجع تاريخها إلى العهد الفكتوري ولكن يد الإصلاح امتدت إليها في وقتٍ ما فأقامت ما تداعى من جدرانها.

وجلست مس «ماربل» على أحد المقاعد وراحت تفكّر... ترى هل أمسكت أخيراً بطرف الخيط..؟

لقد بدأت الأمور تتصل وتستقيم ولكن بطريقة أبعد ما تكون عن الوضوح.

منذ نحو عشرة أعوام قتلت إحدى الفتيات، واتهم شاب بقتلها.. وأسدل الستار على المأساة وانتهى الأمر.. لا لغز ولا مشكلة.. فماذا في استطاعتها أن تفعل..؟ وماذا يريدها مستر «رافيل» أن تفعل..؟

لا بد أن تحدثها «إليزابيث تمبل» بالمزيد..

لقد تحدثت عن فتاة كانت مخطوبة «لمايكل رافيل».. ولكن هل ذلك صحيح..؟

لعلّ الأصح هو القصة التقليدية التي ألفت سماعها في قريتها. .
الفتاة تلتقي بالشاب. . وتتطور العلاقة بينهما. وتتورط الفتاة، وتحمل سفاحاً، فتطلب إلى الشاب أن يقترن بها، ولكنّه لا يريد الزواج ولعلّه لم يفكّر في الزواج أو لعلّ أباه لا يوافق على هذا الزواج، وتصرّ أسرة الفتاة على ضرورة إصلاح الموقف، ويكون الشاب قد سئم الفتاة أو يكون قد اتصل بفتاةٍ أخرى، فيقرّر حسم الموقف بطريقةٍ سريعةٍ وحشيّةٍ، ويخنق الفتاة ويهشم رأسها حتى لا يتعرّف عليها أحد. .

تلك هي القصة التقليديّة المألوفة. .

وعندما وصلت مس «ماربل» في تفكيرها إلى هذا الحد. . نهضت واقفة. . وأجالت حولها نظرة أخيرة. .

كان الهدوء شاملاً. . ولا شيء حولها يدعو إلى التفكير في الشر والجريمة خلافاً لما أحسّت به في البيت القديم وما رأيها في قلق «أنثيا» وحزنها ونظراتها التي تنمّ عن الخوف والجزع.

ترى هل تعرف الشقيقات الثلاث شيئاً. .؟ وما هو؟

لا بد أن تحاول الاتصال «بإليزابيث تمبل» غداً. . لكي تعرف منها المزيد.

وعادت مس «ماربل» أدراجها إلى البيت وهي متعبة مكدودة لا تكاد تشعر بأنّها تقدّمت خطوة واحدة. .

كان الجديد الذي عرفته. . هو المأساة القديمة التي روتها «جانيت»، ولكن ما أكثر المآسي التي تعيها ذاكرة الخدم في القرى ويتناقلونها جيلاً بعد جيل. .

وعندما اقتربت، من البيت، وجدت مسز «جلين» في انتظارها بالباب، وما أن أبصرت بها حتى خفّت لاستقبالها وهي تهتف:

ـ أهذه أنت. .؟ كنت واثقة أنّك خرجت للنزهة، وأشفقت عليك من التعب.

فقالت مس «ماربل»:

ـ لقد تجوّلت قليلاً، ودخلت الكنيسة..

ـ لا شك أنّك لم تجدي فيها ما يلفت النظر فقد أفقدتها الترميمات المتتالية مميّزاتها المعماريّة القديمة.

ـ الواقع أنّني لم أهتمّ بدراسة طرازها.. إنّما ذهبت إليها لأنّني أعلم أنّ الكنائس هي محور الحياة الاجتماعية في القرى.. هل نشأت في هذه المنطقة يا مسز «جلين»..؟

ـ كلا.. كان أبي ضابطاً في المدفعيّة، وكنّا نقيم في «هراسلي»، على بعد ثلاثين ميلاً من هنا.. وكان أبي يأتي بنا أحياناً إلى هذا البيت لزيارة عمّي، ثم انتقلت شقيقتاي إلى هنا بعد وفاة العمّ، أمّا أنا فقد كنت وقتئذ في «الهند» مع زوجي الذي توفي منذ أربعة أو خمسة أعوام.

ولمّا عدت من «الهند» أقمت في كوخٍ صغيرٍ أملكه بالقرب من «لندن»، ولكنّي شعرت بالقلق على أختيّ...

ووجدت من الضروري أن أكون على مقربةٍ منهما..

ـ هل قلقت عليهما بسبب حالتهما الصحية..؟

ـ كلا.. فقد كانت «كلوتيلد» دائماً قويّة البنية. ولكن «أنثيا» تثير قلقي أحياناً.. إنّها غامضة وتشرد أحياناً فلا تدري أين هي.

ـ ذلك ما يفعله القلق بالناس.. وما أكثر ما يقلق الناس في هذه الأيام.

ـ كلا.. كلا.. إنّها ليست قلقة، ولكنّها مهمومة.. فهي تذكر الحديقة كما كانت في عهدها الغابر وتريد أن تنفق عليها لتعيدها إلى حالتها الأولى، وكثيراً ما حاولت «كلوتيلد» إقناعها بأنّ ظروفنا المادية في الوقت الحاضر لا تسمح بذلك. ولكنّها لا تفتأ تتحدّث عن بيت الزهور وأشجار الخوخ..

ـ والأعناب ذات الرائحة الزكيّة.

ـ هل حدّثتك عنها. .؟ إنّها لا تبرح ذاكرتها. . ولكنّ «كلوتيلد» لا تريد أن تسمع شيئاً عن بيت الزهور وأشجار الخوخ. .

فقالت مس «ماربل» وهي تدخل البيت مع مضيفتها:

ـ أظنّ أنّني يجب أن ألحق بالرحلة غداً. . إنّهم سيتحرّكون في الساعة التاسعة صباحاً على ما فهمت.

ـ أرجو ألاّ تكون رحلة متعبة. .

ـ أظنّ أنّني سأكون في خير حال بعد الراحة التي نعمت بها هنا.

الفصل الحادي عشر

الحادث

تناولت مس «ماربل» شاي الصباح في منتصف الساعة الثامنة حتى يتهيّأ لها الوقت الكافي لإعداد حقيبتها.

وكانت بسبيل غلق الحقيبة حين سمعت طرقات سريعة على باب غرفتها ودخلت «كلوتيلد» وهي بادية الاضطراب.

هتفت قائلة:

ـ أواه يا مس «ماربل».. لقد جاء شاب من رفاقك في الرحلة يدعى «أملين برايس».. يقول إنهم أرسلوه لمقابلتك.

ـ إنّني أذكره.. هل هو شاب في مقتبل العمر؟

ـ نعم.. شاب من الجيل الجديد بشعره الطويل وثيابه ذات الألوان الصارخة.. ولكنّه جاء لينهي إليك نبأ سيّئاً... فقد وقع حادث..

فدهشت مس «ماربل» وهتفت:

ـ وقع حادث..؟ للسيارة..؟ هل أصيب أحد..؟

ـ كلا.. ليس للسيارة..؟ لقد وقع الحادث بعد ظهر أمس خلال الرحلة.. كانت الريح عاصفة.. وكان أعضاء الرحلة في طريقهم لرؤية البرج التذكاري فوق تلّ «بونافنشر».. ويبدو أنّهم تفرّقوا، فارتقى بعضهم التل مباشرة، وسار للوصول إلى القمة.. ولم

يكن هناك من يرشدهم أو يوجّههم.. ثم حدث أن انهارت بعض الصخور من قمة التلّ فأصابت واحداً ممن كانوا على السفح.
ـ رباه.. هذا مؤسف حقاً.. ولكن من الذي أصيب..؟
ـ فهمت من الشاب أنّها سيدة تدعى مس «تمبل».
ـ «إليزابيث تمبل».. يا إلهي.. إنّها كانت بجواري في السيارة.. وهي شخصيّة معروفة.. كانت ناظرة لإحدى المدارس.
فقالت «كلوتيلد»:
ـ إنّني أعرفها جيداً. كانت ناظرة مدرسة «فالوفيلدا» المشهورة. ثم تقاعدت منذ عام أو عامين.. وحلّت محلّها ناظرة شابة ذات آراء تقدّمية.. ولكن مس «تمبل» ليست عجوزاً.. إنّها على جانب عظيم من النشاط، وتهوى الرياضة والرحلات وتسلّق الجبال.. ولم يخطر لي ببال أنّها في هذه الرحلة.. إنّني لا أعرف التفصيلات ولكنّي أرجو ألاّ تكون إصابتها خطيرة.
فقالت مس «ماربل» وهي تلقي نظرةً أخيرةً على الحقيبة:
ـ لقد فرغت من هذه الحقيبة فهلمي بنا..
ـ دعيني أحملها عنك.. وكوني على حذرٍ وأنت تهبطين السلّم.

* * *

ووجدت مس «ماربل» «أملين برايس» في انتظارها بالباب.
كان مشوّش الشعر أكثر من المعتاد، ويرتدي جاكيت من الجلد وسروالاً أخضر.
قال وهو يشدّ على يدها:
ـ هل علمت بالحادث المؤلم الذي وقع لمس «تمبل»..؟ إنّني لا أعرف كيف حدث ولا أعلم أكثر من أنّ حجراً سقط من القمّة وانحدر على السفح وهوى عليها فأصيبت بارتجاجٍ في المخّ ونقلت إلى

المستشفى ليلة أمس، وأعتقد أنّ حالتها سيّئة..

وقد جئت لكي أقول لك إنّ رحلة اليوم قد ألغيت وإنّنا سنقضي الليلة هنا.

- إنّني آسفة حقاً..

- أظنّ أنّهم قرّروا إلغاء رحلة اليوم إنتظارا لتقرير الطبيب.. وسنقضي الليلة في الفندق وسوف يترتّب على ذلك إجراء بعض التعديل في برامج الرحلة. وقد ذهبت مسز «ساندبورن» إلى المستشفى في ساعةٍ مبكرةٍ من صباح اليوم ولكنّها ستلحق بنا في الفندق في الساعة الحادية عشرة. ولذلك خطر لي أنّك ربّما تودّين العودة إلى الفندق لسماع آخر الأنباء.

فقالت مس «ماربل»:

- سأعود معك فوراً بطبيعة الحال.

وتحوّلت لوداع «كلوتيلد ولافينيا» التي كانت قد انضمت إليهم.. قالت:

- يجب أن أشكركما على ما لقيت هنا من حفاوةٍ، والواقع أنّني قضيت ليلتين رائعتين نعمت فيهما بالراحة التامة.

فقالت «لافينيا»:

- إذا أردت قضاء ليلة أخرى فأنا واثقة من أن.. ونظرت إليها «كلوتيلد»:

ولمحت مس «ماربل» في عيني «كلوتيلد» نظرة اعتراض، ولاحظت أنّها هزّت رأسها هزّةً خفيفةً لا تكاد ترى فأدركت أنّها لا توافق على اقتراح أختها.. التي استطردت قائلة بلسانٍ متلعثم:

- صحيح أنّ الأفضل في مثل هذه الظروف أن تكوني مع الآخرين.. ولكن.

فقاطعتها مس «ماربل»:

ـ نعم. . ذلك أفضل. . ولـو على الأقـلّ لكي أعرف كيف سيتصرفون، وربّما استطعت أن أكون ذات فائدة بطريقةٍ أو بأخرى. . وأعتقد أنّني سأجد لنفسي مكاناً في الفندق فشكراً مرة أخرى.

فقال «أملين برايس»:

ـ إنّ بالفندق غرفاً كثيرةً خاليةً وأظنّ أنّ مسز «ساندبورن» قد حجزت فيه أماكن لكلّ أعضاء الرحلة.

وحمل الشاب حقيبة مس «ماربل»، وقال وهو يوسع الخطى:

ـ إنّ الفندق قريب من هنا. . في الشارع التالي إلى اليسار.

ـ أعلم ذلك. . مسكينة مس «تمبل». . أرجو ألاّ تكون إصابتها جسيمة.

ـ لقـد نقلت إلى مستشفى «كـاريستـاون» عـلى بعد ثمانية كيلومترات. . إذ لا توجد هنا مستشفيات ولا شك أنّك تعرفين العبارة المألوفة التي يقولها الأطباء عادة عن حالة المصابين. من أنّها ليست أسوأ مما كان متوقّعاً. . أما أنا شخصيّاً. . فأعتقد أنّ إصـابة مس «تمبل» جسيمة. . وعلى كلّ حال فإنّ مسز «ساندبورن» ستأتينا بالخبر اليقين.

ووصلا إلى الفندق ليجدا أعضاء الرحلة يتناولون طعام الإفطار، وسمعا مسز «بتلر» تقول لزوجها:

ـ أليس من المزعج أن يقع هذا الحادث المحزن ونحن في أجملِ مرحلةٍ من مراحل الرحلة. .؟ مسكينة مس «تمبل»، كنت أظنّ دائماً أنّها أوفرنا نشاطاً وأثبتنا قدماً. .

فقال زوجها:

ـ أنت تعلمين أنّ وقتنا محدود، وقد كنت أفكّر في التوّ واللحظة في إنهاء رحلتنا عند هذا الحدّ، لأنّ الأمور لن تستقيم بسرعـةٍ أو بسهولةٍ. . وإذا حدث ما لا نتوقّعه أو نرجوه فلا بد أن تشرح الجثة

ويجرى تحقيق..

فهتفت زوجته:

- بالله لا تقل هذا الكلام المخيف يا «هنري»..

وقالت مس «كوك»:

- إنّك شديد التشاؤم يا مستر «بتلر».. أنا واثقة من أنّ الإصابة ليست بهذه الخطورة.

وقال «كاسبار» برطانته الأجنبيّة:

- بل إنّها خطيرة للغاية.. لقد سمعت حديث الطبيب إلى مسز «ساندبورن».. قال إنّه ارتجاج في المخّ.. وإنّه لا بد من استدعاء طبيبٍ متخصّص ليرى ما إذا كان يمكن إجراء جراحة.

فقالت مس «لوملي» العجوز لصديقتها:

- ربّما كان الأفضل أن نعود إلى بيوتنا يا «ملدريد»..

ثم التفتت إلى مسز «بتلر» وقالت:

- إنّني اتفقت مع الجيران على ترتيب خاص لقططي.. وأخشى إذا تأخّرت يوماً أو يومين أن يحدث ما لا تُحمد عقباه.

وقالت «جوانا» لعمّتها:

- هل ترين مانعاً من أن أخرج مع «أملين» للنزهة في القرية.. إنّ ذلك أفضل من الجلوس هنا والإصغاء إلى شتّى الملاحظات المحزنة.

فقالت مس «كوك»:

- إنّني أؤيّد هذا الرأي.

وقالت مس «بارو» قبل أن تتمكّن مسز «بورتر» من الإجابة:

- إذهبي يا بنيّة.. إذهبي.

قالت ذلك ونظرت إلى مس «كوك»، ونظرت مس «كوك»

وانتهى طعام الإفطار، وبدأت دلائل القلق تبدو على وجه أعضاء الرحلة. لقد أبدى كلّ منهم رأيه في الكارثة، وعبّر عن دهشته أو حزنه.. ولم يبق لهم إلاّ أن يجلسوا في وجوم في انتظار الأخبار.

وأخيراً نهضت مس «كوك» وقالت إنها ستذهب إلى القرية لتتسوّق.. وحذت مس «بارو» حذوها.. وتبعهما الكولونيل «ووكر» وزوجته وقالا إنّهما سيخرجان للنزهة في الحقول.. وقال «بتلر» وزوجته إنهما سيحاولان البحث في حوانيت القرية عن تحفٍ يقتنيانها. وانطلق «أملين برايس» للحاق «بجوانا».. والتفت الأستاذ «وانستيد» إلى مس «ماربل» وقال:

ـ أظنّ أنّ الجلوس في شرفة الفندق المطلّة على الطريق أفضل من البقاء هنا.. ألا ترين ذلك أنت أيضاً..؟

فنهضت مس «ماربل»..

لم تكن قد تبادلت معه كلمة واحدة خلال الرحلة، ولكنّها لاحظت أنّه يحمل دائماً كتاباً في يده.. ولا يكفّ عن القراءة حتى في السيارة..

قال لها:

ـ إنّني أفضّل الانتظار في مكانٍ هادىء حتى تعود مسز «ساندبورن».. فإنّه من الضروري أن نعرف حقيقة الموقف.

فقالت مس «ماربل»:

ـ إنّني أتّفق معك في ذلك..

وخرجا إلى الشرفة.. وكانت خالية من النزلاء وبها عدد من المقاعد المصنوعة من القش..

وقدّم إليها «وانستيد» مقعداً، فانتهزت الفرصة.. ونظرت إليه ملياً.. إلى حاجبيه الكثيفين ووجهه المجعّد وشعره الغزير الذي خطه الشيب..

قال لها:

ـ هل أخطىء إذا قلت إنّك مس «جين ماربل». .؟

ـ نعم. . أنا «جين ماربل».

وكان صوتها ينمّ عن الدهشة. . وإن لم يكن هناك ما يبعث عليها. فقد قضى أعضاء الرحلة معاً وقتاً طويلاً يكفي لأن يعرف كلّ منهم الآخر.

قال «وانستيد»:

ـ هذا ما توقّعته ممّا علمته عن أوصافك.

ـ أوصافي. .؟

وكان صوتها مفعماً بالدهشة. . فقال «وانستيد» بصوتٍ خافتٍ ولكنّه مسموع:

ـ نعم. . لقد وصفك لي مستر «رافيل».

ـ مستر «رافيل». .؟

ـ أيدهشك ذلك. .؟

ـ إلى حد ما.

ـ لم أتصوّر لحظة واحدة أنّ ذلك سيدهشك. .

ـ الحقيقة أنّني لم أكن أتوقّع. .

ولم تتمّ عبارتها، ولم يتكلّم «وانستيد» وإنّما راح يتأمّلها ويحدّق فيها كما يفعل الطبيب حتى توقعت أن يسألها:

ـ ما الأعراض التي تشعرين بها يا سيدتي العزيزة.؟

قالت له:

ـ متى وصفني لك. .؟ لا بد أنّه فعل ذلك

فقاطعها:

ـ تريدين أن تقولي إنّه فعل ذلك قبل موته ببضعة أسابيع. .؟

نعم. . ذلك ما حدث. . وقد قال لي أنّك ستشتركين في هذه الرحلة.

ـ وهل كان يعلم أنّك أيضاً ستشترك فيها.؟
ـ نعم..
ـ الواقع أنّني دهشت أشدّ الدهشة حين علمت أنّه هيّأ لي هذه الفرصة الفريدة التي ما كانت لتتاح لي لولا كرمه.
فأطرق «وانستيد» برأسه ولم يجب، واستطردت مس «ماربل» قائلة:
ـ وإنّه لمّا يؤسف له حقاً أن يقع هذا الحادث فيعكّر صفونا..
ـ نعم.. إنّه حادث محزن لم يكن متوقّعاً.. أو لعلّه كان متوقّعاً.. ما رأيك..؟
فبهتت وسألته:
ـ ماذا تعني بذلك يا أستاذ «وانستيد»..؟
ـ لقد حدّثني عنك مستر «رافيل» بإسهاب، واقترح أن أشترك معك في هذه الرحلة.. لكي يتمّ التعارف بيننا على نحو ما هو مألوف في مثل هذه الرحلات حين ينقسم أعضاؤها إلى جماعات.. كلّ جماعةٍ تضمّ عدداً من ذوي الميول والاهتمامات المتشابهة.
كذلك إقترح عليّ مستر «رافيل» أن ألاحظك وأراقبك.
فقالت مستنكرة:
ـ تلاحظني وتراقبني..؟ لماذا..؟
ـ لحمايتك فيما أظنّ.. لم يكن يريد أن يحدث لك حادث..
ـ ماذا كان يمكن أن يحدث لي..؟
ـ ما حدث «لإليزابيث تمبل» مثلاً.
وفي هذه اللحظة، مرّت «جوانا كروفورد» وبيدها سلّة، فنظرت إليهما في فضولٍ ومضت في طريقها إلى داخل الفندق، فقال «وانستيد» وهو يشيّعها ببصره:
ـ فتاة ظريفة.. إنّ عمّتها المستبدة تستخدمها الآن فيما تستخدم

فيه الدواب. . ولكنّي واثق أنّها ستشق عليها عصا الطاعة قريباً. . وقريباً جداً.

ولكن الحديث عن «جوانا كروفورد» لم يكن يهمّ مس «ماربل» أو يعنيها.

قالت بحدّة:

ـ ماذا كنت تعني بما قلت في التوّ واللحظة. ؟

ـ هذه مسألة يجب أن نناقشها بمناسبة ما حدث.

ـ تعني ذلك الحادث الذي وقع لمس «تمبل». ؟

ـ نعم. . إذا كان حادثاً.

ـ هل تظنّ أنّه لم يكن قضاء وقدراً. . ؟

ـ ذلك محتمل.

ـ ربّما. . فأنا لا أعرف عنه شيئاً.

ـ ذلك لأنّك كنت غائبة عن المسرح. . أو دعينا نقول. . لأنّك كنت وقت الحادث تؤدّين واجبك في مكانٍ آخر. .

فصمتت مس «ماربل»، ونظرت إليه من ركن عينها مرة أو مرتين. . ثم قالت:

ـ لست أفهم ماذا تعني. .

ـ بل أنت تفهمينني جيداً. . ولكنّك تحذّرينني ولك كلّ الحق في ذلك لأنّك لا تعرفين شيئاً عنّي. . كل ما تعرفينه هو اسمي كما جاء في قائمة أعضاء الرحلة. .

مهما يكن من أمر فإنّ مهمّتي كانت أن أراقبك وألاحظ ما تفعلين وأن أكون على مقربةٍ منك فيما لو حاق بك خطر من أي نوع. . ولكنّ الموقف الآن تغيّر بعض الشيء. وأصبح من واجبك أن تقرّري هل أنا خصم أم حليف.

ـ ربّما كنت على حق. . إنّك عرضت الموقف بوضوح، ولكنّي لا

أعرف عنك ما يساعدني على الحكم عليك.. فهل كنت صديقاً لمستر «رافيل»..؟

ـ كلا.. أنا لم أكن صديقاً لمستر «رافيل».. لقد قابلته مرة أو مرتين في اجتماع مجلس إدارة أحد المستشفيات ولكنّي كنت أعرف الكثير عنه. وأعتقد أنّه كان يعرف الكثير عنّي.. إنّني أخشى أن تتهميني بالغرور يا مس «ماربل» إذا قلت إنّني شخص بارز في المهنة التي أزاولها.

ـ هل تزاول الطب..؟

ـ أرى أنّك قويّة الملاحظة يا مس «ماربل».. نعم.. إنّني أزاول الطب، وتخصّصي هو الطب النفسي.. وعملي قاصر على الخبرة الطبية في القضايا الجنائية.. فلقد عكفت على دراسة عقليّة المجرمين على اختلاف أنواعهم. وقضيت في ذلك سنواتٍ عديدةٍ، ولي في هذا الموضوع مؤلّفات أثارت كثيراً من الجدل في الدوائر الطبية.

فقالت مس «ماربل»..

ـ ما دام الأمر كذلك فلعلّك تستطيع أن توضح لي بعض أمورٍ لم ير مستر «رافيل» من المناسب أن يوضحها لي. لقد طلب إليّ الاضطلاع بمهمّةٍ معيّنةٍ. ولكنّه لم يمدّني بمعلومات أعمل على ضوئها. وكانت حماقة منه أن يعالج الموضوع بهذه الطريقة.

ـ ولكنّك قبلت المهمّة..؟

ـ سأكون صريحة معك.. إنّني قبلتها بسبب الحافز المالي.

ـ وهل يهمّك الحصول على هذا المال..؟

فصمتت مس «ماربل» لحظة ثم قالت:

ـ قد لا تصدّقني إذا قلت لك إنّه لا يهمّني.

ـ إذن فقد أثارت المهمّة فضولك..؟

ـ نعم.. إنّها أثارت فضولي.. كانت معرفتي بمستر «رافيل»

سطحيّة فقد قابلته لأول مرة في إحدى جزر «الهند الغربيّة». . ولا بد أنّك تعرف شيئاً عن هذا الموضوع.

ـ أعرف أنّكما تعاونتما معاً هناك.

ـ هل قال لك ذلك. . ؟

ـ نعم. . وقال إنّ لك حاسة سادسة فيما يختصّ بالجرائم.

ـ ألم يثر ذلك دهشتك. . ؟

ـ إنّني قلّما أدهش. . ثم إنّ مستر «رافيل» كان رجلاً حصيفاً يحسن الحكم على الناس.

وسكت لحظة ثم قال:

ـ المفهوم أنّنا اجتمعنا هنا مصادفة أو بتدبيرٍ سابقٍ لكي نبحث أموراً معيّنة. . ونحن الآن وحدنا ولا أحد يرانا أوّ يسمعنا، فلماذا لا نتحدث في صراحةٍ. . ؟

ـ إنّني أرحّب بذلك ولكنّي أؤكّد لك أنّني أجهل تماماً ما يراد مني. ولا أدري لماذا تعمّد مستر «رافيل» أن يتركني في الظلام. ؟

ـ لعلّه أرادك أن تعالجي بعض الحقائق والأحداث بعقلٍ مفتوحٍ وبلا تحيّز.

ـ إذن فليس في نيّتك أنت أيضاً أن تمدّني بمزيدٍ من المعلومات. . ؟

فابتسم «وانستيد» وأجاب:

ـ بل سأذكر لك حقائق معيّنة توضح لك بعض الأمور.

ـ إذن تكلّم بحق السماء. .

* * *

الفصل الثاني عشر

إستشارة

قال «وانستيد»:

- سأحدّثك بإيجازٍ عن الظروف التي أقحمتني في هذه القضية..
إنّني أعمل بين وقتٍ وآخر مستشاراً لوزارة الداخلية، كما أنّني على اتصالٍ بالمؤسسات التي يودع بها المتّهمون في جرائم معيّنة، لمدةٍ معيّنة، أو إلى أجلٍ غير مسمّى، وفقاً لأعمارهم وأمراضهم العقليّة والنفسيّة.. تنفيذاً للأحكام التي أصدرتها محاكم الجنايات.. أو محاكم الأحداث.

وقد جرت العادة أن أستشار في أمر المجرمين عقب اعتقالهم وانتهاء التحقيق معهم، لتقرير مدى مسئوليّتهم عن الجرائم التي ارتكبوها، ونوع المعاملة التي يجب أن يعاملوا بها أثناء اعتقالهم، والعقوبة المشددة أو المخفّفة التي ينبغي أن تطبّق عليهم.

ويحدث أحياناً أن يتّصل بي مدير إحدى هذه المؤسسات لاستطلاع رأيي في حالةٍ بعينها.

وذات يومٍ، تلقّيت عن طريق وزارة الداخليّة رسالة من مدير إحدى المؤسسات فذهبت لمقابلته، واكتشفت أنّه من أصدقائي القدامى الذين انقطعت صلتي بهم منذ وقتٍ طويل.

وعرض علي الرجل المشكلة التي تقلقه، وهي مشكلة خاصة

بمذنبٍ شابٍ أرسل إلى تلك المؤسسة قبل أن تسند إليه إدارتها ببضع سنوات.

قال إنّ [illegible] خبرة بالمذنبين المرضى، وإنّه فحص ملفّ هذا المذنب الشاب.. وسوابقه المتعدّدة، فوجد أنّه إنسان منحرف منذ نعومة أظفاره، إنسان مستهتر لا يقيم وزناً للمسئوليّة.. بل مجرم بطبعه وغرائزه، فارتكب جرائم السرقة والتزوير والاحتيال، وهتك العرض.. صفوة القول إنه كان من أولئك الأبناء الذين يجلبون العار لأهليهم.

فغمغمت مس «ماربل» قائلة:

ـ فهمت..

ـ فهمت ماذا؟

ـ فهمت أنّك تتحدّث عن ابن مستر «رافيل».

ـ أصبت.. إنّي أتحدّث عن ابن مستر «رافيل»، فماذا تعرفين عنه..؟

ـ لا شيء.. إنّما سمعت ـ وكان ذلك بالأمس فقط ـ أنَّ لمستر «رافيل» إبناً منحرفاً ذا ماضٍ حافلٍ بالجرائم.. هل كان هو الابن الوحيد لمستر «رافيل»؟

ـ نعم.. كان ابنه الوحيد.. ولكن كانت له ابنتان أخريان، ماتت إحداهما وهي في الرابعة عشرة من عمرها، وتزوجت الأخرى وهي سعيدة في حياتها الزوجيّة ولكنّها لم ترزق بأولاد.

ـ مسكين ذلك الرجل!!

ـ ربّما.. ولقد ماتت زوجته وهي في شرخ الشباب، وأعتقد أنّ حزنه عليها كان عظيماً رغم حرصه على إخفائه. ولا أعلم إلى أيّ مدى كان يهتمّ بأولاده، ولكني واثق من أنّه كان يعنى بهم أشدّ العناية وأنّه بذل قصارى جهده من أجل ابنه.. أما ماذا كان شعوره نحو هذا

الابن فذلك ما لا أعلمه فقد كان من المتعذّر قراءة أفكاره أو معرفة مشاعره. وأعتقد أنّ كل حياته واهتماماته كانت تتركّز في عمله كرجلٍ ماليّ، شأنه في ذلك شأن جميع الناجحين من رجال المال والأعمال.. لم يكن شغوفاً بالمال ذاته.. بقدر شغفه بالنجاح.

وأكبر الظن أنّه فعل ما يستطيع من أجل ابنه، وأنّه استخدم أعظم المحامين لإنقاذه من تبعات جرائمه كلّما كان ذلك مستطاعاً.. إلى أن حلّت الكارثة الكبرى، حين اتهم الشاب بالاعتداء على إحدى الفتيات وهتك عرضها، فحكم عليه بالسجن، وراعت المحكمة صغر سنّه، فلم تأخذه بالشدة

وبعد أن قضى مدة العقوبة.. جاءت الكارثة الثانية والأخيرة..

ـ قتل إحدى الفتيات.. أليس كذلك؟ ذلك ما قيل لي.

ـ إنّه غرّر بها وحملها على الهرب معه... ثم وجدت جثّتها بعد بضعة شهور، وأثبت الفحص الطبي أنها خنقت ثم هشم رأسها بحجرٍ أو بأداةٍ ثقيلةٍ لإخفاء معالم وجهها حتى لا تعرف شخصيّتها.

ـ يا له من وحش!!

ـ أهذا رأيك فيه؟

ـ إنّ الجرائم التي من هذا النوع تثير غضبي واشمئزازي.. وإذا كنت تتوقّع منّي أن أعبّر عن أسفي وعطفي على هذا المجرم، أو أن ألتمس له عذراً من طفولته أو تربيته أو بيئته.

فإنّني لا أحبّ الشر ولا الأشرار.

فقال «وانستيد»:

ـ يسرّني أن أعلم ذلك.. إنّك لا يمكن أن تصدّقي كم أعاني في مهنتي من أولئك الذين يبكون ويولولون ويصرفون بأسنانهم ويلقون اللوم كله على البيئة والراثة والطفولة التعيسة.. ولو علم هؤلاء في

أيّة بيئةٍ يعيش بعض الناس، وبأيّة قسوةٍ يعاملون، وأيّة صعوبات يلقون في حياتهم - ومع ذلك يخرجون من هذه المحن كراماً شرفاء - لما بكوا وولولوا. . وألقوا اللوم على غير أنفسهم.

إنّني أشفق على المرضى والمتخلّفين عقلياً والذين لا يستطيعون السيطرة على أنفسهم والتحكّم في تصرّفاتهم. ولكنّي لا ألوم البيئة أو الظروف. . هل تفهمين ما أعني. . ؟

- نعم.

- لنعد إلى قصتنا. . لقد أوضح لي مدير تلك المؤسسة سبب حرصه على معرفة رأيي فيما يهمّه ويشغل باله. فقال إنّ اتصالاته بذلك - المذنب الشاب وتجاربه معه ودراسته له. قد أقنعته بأنّه لا يمكن أن يكون قاتلاً. . فهو لا يشبه أي قاتلٍ ممن رآهم قبلاً. إنّ له عقليّة المجرم ولا يمكن إصلاحه أو تقويمه مهما عولج. . ولكنّه ليس قاتلاً. . ثم قال إنّه لا يستطيع أن يصدّق أنّ هذا الشاب قد خنق فتاة ثم ألقى جثتها في حفرةٍ. وأهوى على وجهها بحجر. . وأنّه توفّر على دراسة ملف القضية. . وما تضمّنه من حقائق وأدلّة. . تتلخّص في أنّ الشاب كان يعرف الفتاة، وأنّه شوهد معها مراراً في مناسباتٍ مختلفةٍ قبل الجريمة. وأنهما مارسا الجنس معاً، وأنّ سيارته شوهدت بالقرب من مكان الجريمة.

فالأدلّة إذن قويّة. . وقاطعة، ولكنّ رأيه الشخصي الذي تولّد من تجاربه ومن دراسته للمتّهم الشاب تتعارض مع الأدلّة. . ولذلك فكّر بدافع تعصّبه الغريزي للحق والعدل في استطلاع رأي خبير في الطب النفسي. . ولمّا كنت متخصّصاً في هذا الفرع من الطب، فقد أرسل في طلبي لكي أقابل المتّهم وأتحدّث إليه، وأقوّمه، وأبدي رأي الطب النفسي فيه.

فقالت مس «ماربل»:

ـ هوذا رجل نزيه محبّ للعدل.. رجل جدير بالاحترام ويجب التعاون معه.

ـ لقد تعاونت معه، وقابلت المتّهم، وتحدّثت إليه، وتوفرت على دراسته من جميع النواحي، وناقشته في النقط القانونيّة التي يمكن إثارتها.. بل قلت له إنّه من المحتمل أن نستعين بأحد كبار المحامين لإبراز النقط التي في مصلحته.. تحدّثت إليه كصديق.. وتحدّثت إليه كعدو.. لكي أرى ردود الفعل في الحالتين.. وأخضعته لعديدٍ من الاختبارات العلميّة التي يلجأ إليها الطب النفسي الحديث.

ـ وماذا كان رأيك في النهاية..؟

ـ كان رأيي أنّ مدير المؤسسة على حق، وأنّ «مايكل رافيل» لا يمكن أن يكون قاتلاً.

ـ وماذا عن القضيّة الأولى التي أدين فيها بالاعتداء على إحدى الفتيات وسجن..؟

ـ كانت قرينة ضدّه بطبيعة الحال، ولكنّها لم تؤخذ في الاعتبار، وقد بحثت وقائع هذه القضيّة مؤخّراً، ووجدت أنّها ليست قضيّة هتك عرض بالمعنى المفهوم، فالفتيات في هذه الأيام أقل مقاومة للاعتداء ولكنّ أمّهاتهن يصرون على وصف المغامرة بأنّها اعتداء، وهتك عرض، وقد ثبت أنّ الفتاة التي نحن بصددها كان لها أكثر من صديق، وأنّ العلاقة بينها وبينهم تجاوزت حدود الصداقة البريئة.. ولهذا أعتقد أنّ هذه القضيّة الأولى لم تؤخذ في الإعتبار عند نظر القضيّة الثانية.

ـ وماذا فعلت بعد ذلك..؟

ـ إتصلت بمستر «رافيل»، وقلت له إنّني أريد مقابلته لأمرٍ خاص بابنه، وتقابلنا، وأوضحت له وجهة نظري ووجهة نظر المؤسسة التي يقضي فيها ابنه العقوبة، وقلت له إنّه لا يوجد لدينا دليل يبرّر

المطالبة بإعادة نظر القضيّة ولكنّنا على يقينٍ من أن الحكم صدر مجافياً للعدالة. فهو خطأ من أخطاء القضاء..

ثم اقترحت عليه القيام بتحقيقٍ ربّما يتكلّف كثيراً من النفقات. ولكن يحتمل أن يكشف عن حقائق تقنع المسئولين بإعادة نظر القضيّة.

وكنت قد لاحظت أثناء الحديث أنّ مستر «رافيل» مريض جداً، ولم يلبث هو نفسه أن اعترف بذلك قائلاً إنّ الأطباء أنذروه منذ عامين بأنّه سيموت بعد عامٍ واحدٍ، ثم وجدوا فيما بعد أنّه قد يعيش أطول مما قدروا له لصلابته وقوة احتماله وإصراره على الحياة.

ثم سألته عن شعوره نحو ابنه:

- .. ماذا كان شعوره..؟

- كان صريحاً معي رغم..

- رغم جفائه..

- هذا هو الوصف الصحيح يا مس «ماربل».. كان رجلاً جافاً بقدر ما كان أميناً.. قال: إنّني أعرف ابني على حقيقته منذ سنوات عديدة. ولم أحاول تقويمه لأنّه ليس في مقدور أحدٍ أن يقومه.. فهو معوجّ ومطبوع على الشر وإذا خرج من ورطةٍ وقع في أخرى، لذا نفضت يدي منه فيما عدا أنّني كنت أمدّه بالمال والمعونة كلّما أطبق عليه القانون. لقد فعلت من أجله كل ما أستطيع، ولو كان لي ولد مريض أو مصاب بالشلل أو الصرع لفعلت من أجله كل ما أستطيع.. لا أكثر ولا أقل.. والآن.. ماذا أستطيع أن أفعل من أجله..؟

فقلت له إنّ ذلك يتوقّف على ما يريد هو أن يفعله فأجاب: إنّ الأمر واضح.. فأنا الآن مريض لا حول لي ولا قوة.. ولكنّني أعرف ما ينبغي عمله. ينبغي أن يردّ له اعتباره وأن يطلق سراحه لكي يعيش على نحو ما يريد، فإذا أراد المضي في عبثه وشروره فذلك شأنه.. سأترك له مالاً يعيش منه.. وسأفعل كل ما أستطيع من

أجله.. إنّني لا أريده أن يسجن ويتألّم ويعزل عن الحياة بسبب غلطةٍ طبيعيّة تبعث على الأسف.. فإذا كان هناك رجل آخر قتل الفتاة فإنّني أريد أن يعرف ذلك ويذاع على الملأ.

إنّني أريد العدالة «لمايكل»... ولكني إنسان مريض... وما بقي لي في الحياة يحسب بالأسابيع لا بالشهور أو السنين.

فقلت له: إنّني أعرف من المحامين من يستطيع...

ولكنّه قاطعني بقوله:

ـ لا جدوى من المحامين... في استطاعتك أن تستخدمهم... ولكن لا جدوى منهم.. سأحاول تدبير الأمر بنفسي في حدود الفترة القصيرة التي سأعيشها.

وعرض علي مبلغاً كبيراً لأقوم بالبحث عن الحقيقة دون أن أدخر في سبيل ذلك جهداً أو مالاً... وقال: أنا شخصياً لا أستطيع عمل شيء لأنّ الموت قد يدهمني في أيّة لحظةٍ. ولكنّك ستكون أكبر عون لي وسأختار لك الشخص الذي يساعدك في مهمتك.

قال ذلك وكتب إسمك (مس «ماربل») واستطرد قائلاً:

ـ لن أذكر لك عنوانها لأنّني أريدك أن تقابلها في المكان والظروف التي سأحدّدها...

ثم حدثني عن رحلة (جمعية القصور التاريخية والحدائق المشهورة) وقال إنّه سيحجز لي مكاناً فيها.

قال: وستكون مس «ماربل» في هذه الرحلة أيضاً وهكذا تلتقيان وكأن الأمر مجرّد مصادفة.

وصمت «وانستيد» لحظة ثم قال:

ـ كان علي أن أختار الوقت المناسب لأعرّفك بنفسي إذا رأيت ذلك ضرورياً... أو ألاّ أعرّفك بنفسي إذا كان ذلك أفضل.

إنّني أتوقّع أن تسأليني عما إذا كان لدي أو لدى صديقي مدير

المؤسسة من الأسباب ما يحملنا على الارتياب في أنّ شخصاً بعينه قد ارتكب الجريمة التي اتهم فيها «مايكل»... ولذلك أبادر فأقول لك إننا لا نرتاب في أحدٍ، وإنّ صديقي مدير المؤسسة قد بحث هذا الموضوع مع ضابط الشرطة الذي أشرف على تحقيق الجريمة، وهو ضابط كفء له خبرة واسعة في هذه الأمور.

ـ ألم يرتب الضابط في أحد..؟ ألم يذكر أي اسم..؟ ألم يكن للفتاة صديق سابق انتزعته من قلبها عندما اتصلت «بمايكل»..؟

ـ كلا..

وصمت «وانستيد» مرة أخرى ثم استأنف حديثه قائلاً:

ـ طلبت إلى مستر «رافيل» أن يحدثني عنك فكان كل ما قاله إنّك متقدّمة في السن، ولك خبرة بالناس. ثم ذكر عنك شيئاً آخر.

ـ ما هو...؟ هل قال لك إنّني شديدة الفضول...؟ لعلّ هذه هي الصفة الطيبة الوحيدة التي أعرفها في نفسي.. وفيما عدا ذلك فأنا ضعيفة السمع والبصر وأبدو كأي عجوز ساذجة... فهل قال لك شيئاً بهذا المعنى..؟

ـ كلا... ولكنّه قال إنّ لك حاسة سادسة بالنسبة إلى الجريمة.

ـ أحقاً..؟

ـ هل هذا صحيح..؟

ـ ربما.. والواقع أنّني كثيراً ما أحسست بالشر ومكامنه في الدوائر القريبة مني... إنّه إحساس غريزي... ومثلي في ذلك مثل أولئك الذين يولدون بحاسة شم قوية إنهم يشمّون رائحة الغاز المتسرّب بينما لا يشمّه الآخرون. ويستطيعون تمييز أنواع العطور بسهولة... كانت لي عمّة طالما سمعتها تقول إنّها تشمّ رائحة الكذب... إنّ الكذب لا رائحة له... ولكنّها الحساسية والغريزة.

في هذه القضية بعد وفاة مستر «رافيل».. دعاني محاميه لمقابلته

وأطلعني على العرض الذي اقترحه مستر «رافيل»... ثم تسلمت رسالة من هذا الأخير لم توضح لي شيئاً... وبعد فترة من الوقت، جاءتني رسالة من الشركة التي تشرف على هذه الرحلات، قالت فيها إنّ مستر «رافيل» حجز لي قبل موته مكاناً في هذه الرحلة كمفاجأة لي. فدهشت، ولكني اعتبرت الرحلة خطوة أولى في الطريق إلى الهدف الذي ينشده. وأنني بعد الرحلة أو خلالها سأتلقّى مزيداً من التعليمات أو التوجيهات. وأمس الأول، إستقبلت على أثر وصولي ثلاث شقيقات دعونني لقضاء يومين معهن في بيتهن القديم، وقلن إنّهن تلقّين رسالة من مستر «رافيل» كتبها قبل موته.. وقال فيها إنّ صديقة قديمة له ستكون بين أعضاء الرحلة، وأنّه سيكون شاكراً إذا هنّ استضفن هذه الصديقة يومين أو ثلاثة.. لأنّ صحّتها لا تسمح لها بارتقاء التل... وشهود النصب التذكاري مع زملائها في الرحلة التي تضمّنها برنامج أمس.

- وهل اعتبرت ذلك أيضاً كتوجيهٍ لك إلى مهمتك..؟

- طبعاً... لم يكن هناك تفسير آخر... فمستر «رافيل» ليس الرجل الذي يكلّف نفسه كل هذا العناء لمجرّد إشفاقه على سيدة عجوز من متاعب صعود التل. إنّه كان يريدني أن أذهب إلى ذلك البيت.

- وهل ذهبت..؟ وماذا وجدت..؟

- لا شيء.. سوى ثلاث شقيقات.

- ثلاث شقيقات غريبات الأطوار.

- كلا... ثلاث شقيقات عاديات... ولكنّهن على جانبٍ عظيمٍ من اللطف ودماثة الخلق، وإن اختلفت كل منهن عن الأخرى، وقد خيّل إلي أنّهن لا يعرفن مستر «رافيل» جيداً... وكانت جميع محادثاتي معهن غير مثمرة.

ـ إذن لم يتكشف لك شيء خلال إقامتك. . ؟

بل تكشفت لي الحقائق الأساسية في القضية التي حدثتني عنها الآن. ذكرتها لي خادم عجوز ترجع صلتها بالبيت إلى عهد الكولونيل العجوز عمّ الشقيقات الثلاث. . لم تكن تعرف مستر «رافيل» ولكنّها تحدثت عن الجريمة بطلاقةٍ. . . فقالت إنّ المأساة بدأت بزيارة ابن مستر «رافيل» لذلك البيت. . . وإنّ الفتاة أحبّته وإنّه خنقها.

ـ ألم تذكر أنّ للشقيقات صلة بالمأساة. . ؟

ـ كلا. . . كل ما قالته إنّ الفتاة كانت ربيبتهن وإنّهن أحببنها حبّ عبادة.

ـ لعلّهن يعرفن شيئاً عن. . . عن رجلٍ آخر كان يحب الفتاة. . ؟

ـ نعم. . . هذا الرجل هو ضالتنا التي يجب أن نبحث عنها. . ولا بد أن يكون رجلاً فظاً لا يتورع عن تهشيم رأس فتاةٍ بعد قتلها. . رجلاً من أولئك الذين تخرجهم الغيرة عن صوابهم.

ـ هل لفت نظرك شيء في ذلك البيت. . ؟

ـ لا شيء يستحقّ الذكر. . . كانت صغرى الشقيقات لا تكف عن الحديث عن الحديقة كما لو كانت من هواة فلاحة البساتين. . . ولكنّي نصبت لها فخاً. واكتشفت أنّها لا تعرف حتى أسماء الزهور. . . وذلك يذكّرني بشيء آخر.

ـ ما هو. . ؟

ـ هل رأيت بين أعضاء الرحلة امرأتين في الحلقة الثالثة من العمر. . ؟ إحداهما تدعى مس «بارو» والثانية مس «كوك». . ؟

ـ نعم. . . أعتقد أنّهما عانستان تسافران معاً.

ـ لقد اكتشفت أمراً عجيباً عن مس «كوك». . . أو من تدعو نفسها بهذا الاسم.

ـ لماذا..؟ هل لها اسم آخر..؟

ـ أظنّ ذلك... إنّها نفس المرأة التي مرت ببيتي في القرية حيث أقيم، وعبّرت عن إعجابها بحديقتي.. وتحدثت عن الحدائق... وقالت إنّها تقيم مع سيدة تقطن في بيتٍ جديدٍ هناك..

أنا أعتقد أنّ كل ما قالته كان كذباً... لأنّها أيضاً لا تعرف شيئاً عن الحدائق.

ـ ماذا كان غرضها إذن من حديثها معك..؟

ـ لم أكن أعلم في ذلك الوقت... قالت لي يومئذ أنّ اسمها «بارتليت».. وذكرت للسيدة التي تقيم معها اسماً لا يحضرني الآن... ولكنّه يبدأ بحرف الهاء فيما أظنّ.. وكان لشعرها لون آخر.. كما كانت ثيابها من طرازٍ مختلفٍ وعندما قابلتها في هذه الرحلة لأول مرة لم أعرفها.. ولكنّي شعرت بأنّ وجهها مألوف... وفجأة تذكّرتها حين اكتشفت أنّ شعرها مصبوغ... واعترفت لي بأنّها ذهبت إلى القرية وزعمت أنّها أيضاً لم تعرفني في الرحلة.. وكل ذلك كان كذباً...

ـ وما رأيك أنت..؟

ـ من المؤكّد أنّ هذه التي تدعو نفسها مس «كوك» قد ذهبت إلى القرية خصّيصاً لتراني... حتى تستطيع التعرّف علي ومتى تقابلنا مرة أخرى.

وساد الصمت بينهما بضع لحظاتٍ إلى أن قال «وانستيد»:

ـ إنّ ما حدث «لإليزابيث تمبل» يثير قلقي... هل تحدثت إليها خلال الرحلة..؟

ـ نعم... وأودّ أن أتحدث إليها مرة أخرى متى تحسّنت حالها... فقد تفضي إلينا بالمزيد عن الفتاة التي قتلت.. إنّها حدثتني عن هذه الفتاة التي كانت طالبة في مدرستها فقالت إنها كانت على

وشك الزواج بابن مستر «رافيل»، ولكنها لم تتزوجه وماتت وعندما سألتها كيف ماتت ولماذا ماتت. . أجابت بكلمةٍ واحدةٍ هي (الحب). وظننتها تعني أنّ الفتاة انتحرت. ولكنّ الحادث كان جريمة قتل. . . جريمة قتل بسبب الغيرة. . . ذلك هو التفسير الوحيد. . كان هناك رجل آخر يحبّ الفتاة. ومهمّتنا هي البحث عن هذا الرجل وربما استطاعت «إليزابيث تمبل» أن تدلّنا عليه.

ـ أليست هناك احتمالات أخرى. . ؟

ـ إنّ ما نحتاج إليه في الوقت الحاضر أكثر من أي شيء آخر هو المعلومات. . حتى ولو كانت معلومات غير كاملة وقد تكون إحدى الشقيقات الثلاث تعرف أو تتذكّر شيئاً قالته الفتاة أو قاله «مايكل».

لقد كانت «كلوتيلد» تقوم مع الفتاة برحلاتٍ إلى الخارج، فلعلّها تذكر شيئاً حدث أو كلمة قالتها الفتاة في إحدى هذه الرحلات عن رجلٍ قابلته أو اتصلت به.

أماً الأخت الثانية ـ «لافينيا» ـ فإنّها تزوجت وعاشت مع زوجها في «الهند»، وكانت صلتها بالفتاة أضعف من صلة أختيها، ولكنّ ذلك لا يمنع من أنّها ربما تعرف بعض الحقائق.

وأما الأخت الصغرى، فإنّ عقلها مشتّت إلى حد ما، ولكن ربما كانت لديها معلومات عن عشّاق الفتاة، أو ربما سبق لها أن رأت الفتاة مع رجلٍ مجهولٍ. . آه. . . ها هي الأخت الصغرى. . . «أنثيا برادبوري». . . إنّها تحمل حزمة كبيرة. . . ولعلّها في طريقها إلى مكتب البريد في ركن الشارع.

ـ يخيّل إليّ أنّها قليلة الاهتمام بمظهرها. . . أنظرى كيف يتطاير شعرها الجميل في الهواء!!

الفصل الثالث عشر

مربعات سوداء وحمراء

- ١ -

عادت مسز «ساندبورن» عندما كان أعضاء الرحلة يتناولون طعام الغداء، ولم تكن أنباؤها مطمئنة... إذ قالت إنّ «إليزابيث تمبل» لا تزال في غيبوبة... ولا يمكن نقلها قبل بضعة أيام.

ثم تناولت المسائل العملية، فقالت إنّها أعدّت جدولاً لمواعيد القطارات لأولئك الذينَ يرغبون فِي العودة إلى «لندن». كما وضعت برنامجاً معدلاً للرحلة التي قد تستأنف يعد يوم أو يومين..

وانتحى «وانستيد» بمس «ماربل» زاوية وقال لها:

- إذا لم يكن في نيّتك الاستراحة بعد ظهر اليوم فسأمرّ بك بعد ساعةٍ لاصطحابك إلى إحدى الكنائس الأثريّة.

- ٢ -

وفي الوقت المحدد جاء «وانستيد» في سيارةٍ استأجرها، وجلست مس «ماربل» بجواره في المقعد الثاني.

قال لها:

- لقد خطر لي أنّه ربّما يهمّك زيارة هذه الكنيسة بالذات. وليس

ثمة ما يمنعنا عن الاستمتاع بالمناظر الريفية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

فقالت مس «ماربل»:

ـ هذا كرم منك... ولكن يخيّل إلي أنّ كل متعةٍ في هذه الظروف تبدو شيئاً قاسياً... ولا شك أنّك تفهم ما أعني.

ـ يا سيدتي العزيزة... إنّ مس «تمبل» لم تكن صديقتك في يومٍ ما.. وهذه الحوادث المحزنة تقع كل يوم.

وعندما ابتعدت السيارة عن القرية، التفت «وانستيد» إلى مس «ماربل» وقال:

ـ إنّنا لن نذهب إلى أيّة كنيسة.

ـ هذا ما توقعته... إلى أين سنذهب إذن..؟

ـ إلى مستشفى في «كاريستاون».

ـ المستشفى الذي نقلت إليه مس «تمبل»..؟

ـ نعم... لقد حملت إلي مسز «ساندبورن» رسالة من إدارة المستشفى... فاتصلت بالمستشفى تليفونياً منذ قليل.

ـ هل مس «تمبل» أحسن حالاً..؟

ـ كلا... إنّ شفاءها أمر مشكوك فيه.. ولكن ليس هناك ما يمكن عمله إنّها في غيبوبة لا تفيق منها إلاّ لحظات.

ـ ولماذا تذهب بي إليها..؟ إنّني لست صديقتها... وقد قابلتها لأول مرة في هذه الرحلة.

ـ أعلم ذلك... إنّني أذهب بك إليها. لأنّها ذكرت اسمك في إحدى لحظات يقظتها. وطلبت مقابلتك.

ـ ترى لماذا وهي تعلم أنّني لن أستطيع أن أفيدها بشيء..؟

ثم هزّت رأسها أسفاً واستطردت قائلة:

ـ إنّها سيدة عظيمة... كانت ناظرة لمدرسة «فالوفيلد» وكانت

لها مكانة بارزة في الدوائر التربوية وهي شخصية واسعة الثقافة. ولديها دكتوراه في الرياضيات. وكانت شديدة الاهتمام بالمسائل التربوية ولا تدخر وسعاً في تشجيع تلميذاتها فيما يتفوقن فيه من فروع العلم والمعرفة. وإنّه لمن القسوة أن تذهب ضحيّة حادث سخيف كهذا... إنّ هذا الحادث..

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة:
ـ لعلّك تفضّل ألّا نناقشه..؟
ـ بل من الأفضل أن نناقشه... لقد سقط حجر من فوق التل وذلك أمر مألوف حدث مراراً من قبل... ولكن بعضهم تحدث إلي في هذا الموضوع.
ـ في موضوع الحادث..؟ من الذي تحدث إليك..؟
الشابان «جوانا كروفور وأملين برايس».

ـ ماذا قالا لك..؟
ـ قالت «جوانا» إنّها رأت فوق التل شخصاً يزحزح الحجر بكل قوته ليدحرجه على سفح التل، وأنّها لا تستطيع أن تجزم هل كان هذا الشخص رجلاً أم امرأة.. ولكنّها واثقة من أنّها رأت الحجر يهتزّ ثم ينفصل من مكانه ويهوي على سفح التل... في الوقت الذي كانت فيه مس «تمبل» تسير في الممر المألوف المؤدّي إلى القمة.. فأصابها الحجر وواصل انحداره بكل قوة.

وتعتقد الفتاة أنّه لو لم يتعمّد إنسان إصابة مس «تمبل» بذلك الحجر لما نجح..
ـ وهل كان ذلك الشخص رجلاً أم امرأة..؟
ـ من سوء الحظ أنّ الفتاة لم تستطع أن تقطع في هذا الأمر برأي... قالت إنّه كان يرتدي سروالاً أزرق وقميصاً من الصوف

منقوشاً بمربّعاتٍ حمراء وسوداء زاهية اللون. ثم اختفى عقب ذلك مباشرة.

ـ وهل تعتقد الفتاة أو هل تعتقد أنت أنّ الحادث دبّر عمداً لقتل مس «تمبل». . ؟

ـ إنّ الفتاة تميل إلى هذا الاعتقاد ويؤيّدها الشاب.

ـ أليست لديك فكرة عمّن يكون الفاعل. . ؟

ـ كلا. . . إطلاقاً. . . ربّما يكون أحد أعضاء الرحلة أو شخصاً مجهولاً علم بموعد وصول الرحلة واختار هذا المكان للاعتداء على حياة أحد أعضائها. . . وربما يكون أحد هواة العنف حباً للعنف في ذاته. . . على أنّ السؤال الذي يجب أن نطرحه هو: من الذي يود قتل ناظرة مدرسة متقاعدة. . ؟

ربما تستطيع مس «تمبل» نفسها الإجابة على هذا السؤال إذ يحتمل أنّها رأت الفاعل وعرفته. . . أو ربما تعرف شخصاً معيّناً يحقد عليها لسببٍ ما. .

إنّ ناظرة المدرسة تتصل بتلميذاتها وبعائلاتهن. . وتعرف عن الفتيات ومغامراتهن أكثر مما يعرف ذووهن. . . وقد أصبحت المغامرات العاطفية شيئاً مألوفاً في حياة الطالبات في هذا الزمن. .

يقولون إنّ البنات ينضجن في سنٍّ مبكرة وهذا صحيح من وجهة النظر الفسيولوجية. . . ولكنّ النضج بمعناه الصحيح لا يحدث إلاّ في وقتٍ متأخّر.

إنّ طفولة البنات تمتدّ وقتاً طويلاً. . . فتظلّ البنت طفلة بالثياب التي ترتديها. . وبشعرها الذي يتطاير حولها، وبالميني جيب الذي يرمز لعبادة الطفولة. . . إنّها لا تحبّ أن تكون مراهقة. . . ولا أن تضطلع بمسئوليات المراهقات. ولكنّها تحب ـ كأي طفل ـ أن يظنّ الناس أنّها قد شبّت عن الطوق. وأنّ من حقّها أن تمارس حريتها وأن تفعل ما

يفعله الكبار.. ومن هنا تحدث المآسي.

ـ هل تشير إلى مأساةٍ بعينها..؟ .

ـ كلا... إنّما أفكّر في كافة الاحتمالات. ولكنّي لا أظن أنّ لمس «تمبل» عدوّاً من قسوة القلب بحيث يترقّب مثل هذه الفرصة لقتلها... ولعلّ أقرب الاحتمالات إلى الصواب هو...

وصمت لحظة ثم قال:

ـ حاولي أن تعرفي ما يدور بخلدي...

ـ أظنّ أنّني أعرف ما يدور بخلدك... أنت تظن أنّ مس «تمبل» ربّما تعلم أموراً خطيرة لا يريد القاتل أن تعرف أو تذاع..؟

ـ ذلك ما خطر لي.

ـ وهذا معناه أنّ بين أعضاء الرحلة شخصاً تعرّف على مس «تمبل»، ولم تتعرّف هي عليه بسبب مضي السنين، وأنّ هذا الشخص أراد أن يتخلّص منها لأنّها تعرف من أمره ما لا يود أن يعرفه الآخرون.

وإذن يجب أن نبحث عن الفاعل بين أعضاء الرحلة... هل قلت إنّ قميصه كان منقوشاً بمربّعاتٍ سوداء وحمراء..؟

ـ نعم...

ـ إنّهما لونان يلفتان النظر... ولذلك تذكّرتهما «جوانا» أصغ إلي... إنّك عندما تصف شخصاً رأيته من بعيد.. فإنّ أول شيء تصفه هو ثيابه.. لا وجهه أو مشيته.. وقد حرص الفاعل على ارتداء قميصٍ ذي ألوان صارخة تلفت نظر من يراها... والغرض من ذلك أنّه متى خلع القميص وتخلّص منه بأن أرسله في طردٍ بريدي إلى مكانٍ يبعد مئات الأميال أو أحرقه... فإنّه يكون بذلك قد تخلّص من الدليل وأبعد عنه الشبهات.

ـ هذا رأي سليم.

ـ والفاعل غالباً رجل لا امرأة. فقد ألقى الحجر ـ إذا كان قد ألقي عمداً ـ بدقة لا يستطيعها إلاّ رجل..

وثمة ملاحظة أخرى: هي أنّ مدرسة «**فالوفيلد**» حيث كانت مس «**تمبل**»، تقع على بعد ستة عشر ميلاً من هنا... وذلك يوسع دائرة الاحتمالات:

وبهذه المناسبة... هل تعرف هذه المنطقة جيداً يا مستر «**وانستيد**»..؟

ـ لست أعرف عنها أكثر مما سمعت وأنا أتقصى الحقائق في اليومين الأخيرين.. قيل لي إنها كانت في إحدى الفترات مسرحاً لسلسلة من الجرائم... ولا عجب في ذلك.. فكل منطقةٍ في «**انجلترا**» قد اجتاحتها في وقتٍ ما موجة من الجرائم.. كذلك قيل لي إنّ فتاتين اختفتا من هذه القرية في وقتٍ واحدٍ تقريباً.. إحداهما هي التي وجدت جثتها بعد ستة شهور من اختفائها واتّهم «**مايكل رافيل**» بقتلها..

ـ والثانية..؟

ـ والثانية تدعى «**نورا برود**».. وكانت لها صلات بكثيرٍ من الفتيان ولم يكن سلوكها فوق الشبهات.. ولم يعثر على جثتها.. ولكن من المؤكّد أنّ الجثة ستظهر يوماً ما.. إنّني أعرف قضايا ظهرت فيها الجثة بعد عشرين عاماً.. ها قد وصلنا، هوذا مستشفى «**كاريستاون**».

وتبعت مس «**ماربل**» الأستاذ «**وانستيد**» إلى داخل المستشفى، ويبدو أنّ قدوم «**وانستيد**» كان متوقّعاً، فقد ذهبوا به على الفور إلى غرفةٍ صغيرةٍ يتصدرها مكتب تجلس إليه امرأة في نحو الأربعين من عمرها يبدو أنّها رئيسة الممرضات.

ونهضت المرأة لاستقبال الزائرين وهي تقول:

ـ الأستاذ «وانستيد»!! والسيدة. .

فقال «وانستيد»:

ـ هذه مس «جين ماربل» التي تحدثت عنها تليفونياً إلى مس «باركر» الممرضة.

ـ آه. . إنّ مس «باركر» تنتظر قدومكما.

ـ وكيف حال مس «تمبل». .؟

ـ يؤسفني أن أقول إنّه لم يطرأ عليها تحسّن سأذهب بكما إلى مس «باركر».

* * *

كانت مس «باركر» امرأة طويلة نحيفة الجسم ذات صوت خافت حاسم. . وعينين سوداوين تنظران إليك بسرعةٍ ثم تنصرفان عنك بطريقةٍ تشعر بأنّ صاحبتهما قد ألمّت بك تماماً وقوّمتك في هذه اللحظة القصيرة وأصدرت حكمها عليك.

قال لها «وانستيد»:

ـ إنّني لا أعرف الترتيبات التي استقرّ عليها رأيك.

فأجابت:

ـ يحسن بي أن أوضحها لمس «ماربل». . إنّ مس «تمبل» لا تزال في غيبوبة تامة تتخلّلها لحظات قصيرة من اليقظة والوعي. . وفي هذه اللحظات تفيق إلى نفسها وتتعرّف على من حولها، وتنطق ببضع كلمات. . ولكن لا توجد هناك أية وسيلة لإيقاظها. . وكل ما نستطيعه هو أن نتذرّع بالصبر وننتظر. .

وأنا أتوقّع أن يكون الأستاذ «وانستيد» قد أنبأك بأنّها ردّدت اسمك في إحدى لحظاتَ يقظتها وقالت: مس «جين ماربل». . أريد أن أتحدّث إليها»

ثم راحت في غيبوبة.

وقد نصح الطبيب بالاتصال بالقائمين على الرحلة وجاء الأستاذ «وانستيد» فأوضحنا له الموقف، ووعد بإحضارك.

إنّ كل ما نرجوه منك الآن هو أن تجلسي في الغرفة الخاصة التي ترقد فيها مس «تمبل»، وأن تسجلي كلّ كلمةٍ تنطق بها متى عادت إلى وعيها.

وحيث إنّك لست من أقاربها ولن يزعجك النبأ، فإنّني أقول لك في صراحةٍ ومع الأسف إنّ الطبيب يعتقد أنّ حالة مس «تمبل» تتدهور لحظةً بعد أخرى. وإنّها قد تموت قبل أن تستردّ وعيها. وليس في مقدورنا عمل شيء لإزالة الارتجاج، ومن المهم أن يسمع أحد ما سوف تقول. ويرى الطبيب أنّه من الأفضل ألاّ ترى المريضة أشخاصاً كثيرين حولها إذا استيقظت، حتى لا تتشتّت أفكارها ولذلك لن يكون بالغرفة سوى ممّرضة سوف تتوارى خلف حاجزٍ بحيث لا تراها المريضة. ورجل شرطة مهمّته أن يسجّل ما يسمع، وسوف يتوارى كذلك عن عينيّ المريضة..

وبذلك لن ترى المريضة عندما تفتح عينيها سوى الشخص الوحيد الذي تنتظره.. فهل يضايقك كثيراً أن تقومي بهذه المهمّة..؟

فأجابت مس «ماربل»:

- كلا.. بتاتاً.. ثم إنّ لي ذاكرة قوية تستوعب ما أسمع، حتى ولو كان مجرّد همس ولن أكون بحاجة إلى ورقٍ وقلم.

فومضت في عينيّ مس «باركر» نظرة تنمّ عن الارتياح وقالت:

- أنا واثقة من أنّنا نستطيع الاعتماد عليك. أمّا الأستاذ «وانستيد» فإنّه سينتظر بقاعة الاستقبال لكي نستعين به إذا قضت الضرورة.

والآن.. تعالي معي يا مس «ماربل».

وسارت معها مس «ماربل» في دهليزٍ طويلٍ ينتهي بغرفة صغيرةٍ.. وعلى فراش في هذه الغرفة الخافتة الضوء كانت ترقد «إليزابيث تمبل».

كانت أشبه بتمثالٍ.. ولكنّ الناظر إليها لا يشعر بأنّها نائمة.

كانت أنفاسها القلقة تتردّد في شهقاتٍ خافتةٍ. فانحنت مس «باركر» فوقها لتفحصها... ثم أشارت إلى مقعدٍ بجوار الفراش، فجلست عليه مس «ماربل»..

وعندما همّت مس «باركر» بالانصراف، خرج من وراء حاجزٍ هناك شاب في يده قلم ودفتر مذكرات. فقالت له مس «باركر» في همس:

ـ هذه أوامر الطبيب.

ثم التفتت إلى الممرضة التي كانت تجلس خلف الحاجز وقالت:

ـ أطلبيني إذا لزم الأمر وضعي نفسك تحت تصرّف مس «ماربل».

وكان جوّ الغرفة دافئاً فخلعت مس «ماربل» معطفها ودفعت به إلى الممرضة. وجلست تنظر إلى «إليزابيث تمبل» ولا تتمالك من الإعجاب بقسمات وجهها وارتفاع جبينها وجمال شعرها..

كانت امرأة وسيمة، وشخصيّة ممتازة، ومن بواعث الأسف حقاً أن تغيب عن هذه الدنيا.

* * *

ومرّ الوقت..

عشر دقائق.. عشرون دقيقة.. نصف ساعة.. خمس وثلاثون دقيقة..

ثم فجأة.. وعلى غير انتظارٍ.. انبعث صوت خافت ولكنّه

واضح. . صوت خال من الرنين الذي ألفته مس «ماربل».
قال الصوت:
ـ مس «ماربل».
وفتحت «إليزابيث تمبل» عينيها. . ونظرت في غير انفعالٍ أو دهشةٍ إلى وجه المرأة التي تجلس أمامها. ثم قالت:
ـ هل أنت «جين ماربل». . ؟
ـ نعم. . أنا «جين ماربل».
ـ إنّ «هنري» حدّثني عنك كثيراً.
ـ «هنري». . ؟
ـ «هنري كليثرنج». . إنّه من أقدم أصدقائي وأكرمهم عليّ.
ـ «هنري كليثرنج». . . إنّه أيضاً صديقي. .
وعادت بها الذاكرة إلى سنواتٍ مضت. حين عرفت السير «هنري كليثرنج» ـ وتذكّرت خدماته لها، وخدماتها له. . كان حقاً من أخلص الأصدقاء.
قالت «إليزابيث تمبل»:
ـ لقد تذكّرت اسمك حين قرأت أسماء أعضاء الرحلة. . . إنّ في استطاعتك أن تفعلي شيئاً. . . لو كان «هنري» هنا لقال ذلك. . نعم. . إنّ بوسعك أن تبحثي وأن تفعلي شيئاً. . ذلك مهمّ. . ومهمّ جداً. . . رغم مرور سنواتٍ عديدةٍ. .
وخفت صوتها قليلاً وأغمضت عينيها، فخرجت المرّضة من مخبئها، وقرّبت كوباً من شفتي مس «تمبل»، فارتشفت هذه جرعة. . ثم أشاحت بوجهها، فرفعت الممرضة الكوب وعادت إلى مقعدها.
قالت مس «ماربل»:
ـ سأبذل قصارى جهدي وأعمل ما أستطيع عمله.
ـ حسنٌ. . حسنٌ. .

وأغمضت عينيهـا مرة أخـرى، وبدت كـأنّها نـائمـة. أو في غيبوبة..

ولكنّها عادت ففتحت عينيها فجأة وقالت:

ـ من هي..؟ ذلـك ما يجب معـرفتـه.. هـل فهمت مـاذا أعني..؟

ـ أظنّ ذلك.. إنّك تعنين فتاة مـاتت.. فتاة تـدعى «نورا برود»..؟

فقطبت «إليزابيث» جبينها وقالت:

ـ كلا.. كلا.. كلا.. الفتاة الأخرى. «فيريتي هانت».

وصمتت لحظة ثم قالت:

ـ «جين ماربل».. إنّك تقدّمت في السن عمّا كنت عندما حدّثني «هنـري» عنـك. ولكن مـا زال في مقـدورك أن تبحثي.. أليس كذلك..؟

وارتفع صوتها وزاد إلحاحاً وهي تقول:

ـ تكلّمي.. قولي إنّ ذلك في مقدورك.. إنّ الوقت ضيّق... وأنـا أشعـر بـذلـك.. ابحثي.. ربّمـا تتعـرّضـين للخـطر ولكنّـك ستنجحين..

ـ سأبحث.. وليشدّ الله أزري.

كان ذلك عهداً وقسماً..

فتنهّدت «إليزابيث تمبل» بارتياحٍ، وأغمضت عينيها ثم فتحتها، وارتسم على شفتيها شبه ابتسامةٍ..

همست بعد قليل:

ـ تلك الصخرة التي انحدرت من علٍ... صخرة الموت..

ـ من الذي ألقاها..؟

ـ لا أعلم.. ذلك لا أهمّية له.. المهمّ هو «فيريتي».. ابحثى عن الحقيقة..

ولاحظت مس «ماربل» استرخاء جسدها على الفراش، وسمعتها تهمس بصوتٍ خافتٍ:

ـ وداعاً.. ابذلى قصارى جهدك.

وأغمضت مس «تمبل» عينيها، فهرعت إليها الممرضة وجسّت نبضها.. ثم ابتعدت وأشارت إلى مس «تمبل» أن تتبعها إلى الخارج فأطاعت.

وهناك قالت الممرضة:

ـ إنّها بذلت مجهوداً كبيراً.. ولن تعود إلى وعيها قبل وقتٍ طويل..

وقد لا تعود إطلاقاً.. أرجو أن تكوني قد عرفت منها شيئاً..

ـ لا أعتقد ذلك..

* * *

وسألها «وانستيد» وهما في طريقهما إلى السيارة.

ـ هل قالت لك شيئاً..؟

ـ إنّها ذكرت اسماً.. «فيريتي».. هل هو اسم الفتاة..؟

ـ نعم.. «فيريتي هانت».

وماتت «إليزابيث تمبل» بعد ساعةٍ ونصف الساعة دون أن تفيق من غيبوبتها.

الفصل الرابع عشر

فيريتي

قـالت مس ماربـل» فجأة، وبصـوتٍ واضحٍ، وهي تعمـل بإبرتها:

- «فيريتي»!!

كانت «إليزابيث تمبل» قد ماتت في هدوءٍ في الليلة السابقة، وتحدّدت الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي لتحقيق حادث مصرعها، ووافق أعضاء الرحلة على حضور جلسة التحقيق، وقرّر بعضهم البقاء للاشتراك في القداس الذي سيقام في الكنيسة.

وذهبت «لافينيا» إلى الفندق وألحّت على مس «ماربل» لكي تعود للإقامة في البيت القديم إلى أن يحين موعد الرحيل.

قالت لها:

- إنّ إقامتك معنا ستجنّبك مضايقات رجال الصحافة..

ووافقت مس «ماربل»، خاصة وأنّ أكثر زملائها عدلوا عن مواصلة الرحلة وقرّروا العودة إلى «لندن».

وبينما كانت تعمل بإبرتها في قاعة الاستقبال بعد أن تنـاولت القهوة مع الشقيقات الثلاث. تذكّرت آخر شيءٍ نطقت به «إليزابيث تمبل» قبل موتها وألقت به فجأة وسط الشقيقات كما تلقي بحجرٍ في بحيرةٍ هادئة. ونظرت حولها بسرعةٍ لترى ردّ الفعل..

كانت «لافينيا» تقرأ كتاباً فتركته على الفور ونظرت إلى مس «ماربل» في دهشة.

ورفعت «كلوتيلد» رأسهـا بغتـة... وانـحنـت إلى الأمـام ونظرت.. لا إلى مس «ماربل» وإنّما إلى النافذة..

ورغم أنّ مس «ماربل» أسدلت أهدابها حتى تبدو وكأنّها لا ترى ما حولها.. إلاّ أنها لاحظت أنّ الدموع ملأت عينيّ «كلوتيلد» وسالت على خدّها.. وأنّ «كلوتيلد» لم تحرّك ساكناً لمسحها، ولم تنطق بكلمة.

أمّا «أنثيا» فإنّ ردّ الفعل بالنسبة إليها كان سريعاً وواضحاً وينمّ عن السرور والارتياح.

هتفت قائلة:

ـ «فيريتي»..؟ هل قلت «فيريتي»..؟ هل كنت تعرفينها..؟ هل تعنين «فيريتي هانت»..؟

فقالت مس «ماربل»:

ـ إنّني لم أعرف قط أحداً بهذا الاسم...

وتركت إبرتها وأجالت البصر حولها وارتسمت في عينيها نظرة اعتذار كمن يدرك أنّه ارتكب غلطةً جسيمةً لا يعرف كنهها..

قالت:

ـ إنّني آسفة.. هل قلت شيئاً لم يكن يجب أن أقوله..؟ فقالت «لافينيا»:

ـ كلا.. كلا.. إنّما اتفق أنّنا نعرف هذا الاسم.

فقالت مس «ماربل» معتذرة:

ـ إنّه مرّ بخاطري.. وكنت قد سمعته أمس من مس «تمبل».. كانت في غيبوبة فذهب بي الأستاذ «وانستيد» إليها في المستشفى ظنّاً منه أنّي أستطيع أن أرفع من روحهـا المعنويّـة.. ليس لأنّني كنت صديقتها في أيّ وقتٍ.. وإنّما لأنّنا كنّا نجلس معاً ونتجاذب أطراف

الحديث خلال الرحلة.. ولكنّي للأسف لم أستطع أن أفيدها بشيءٍ... فقد جلست بجوار فراشها وانتظرت. وسمعتها تنطق بكلمةٍ أو كلمتين لا معنى لهما. وأخيراً فتحت عينيها ونظرت إليّ طويلاً.. ولعلّها ظنّتني شخصاً آخر ثم نطقت باسم «فيريتي».. وقد رسبت هذه الكلمة في ذهني خاصة وأنها أسلمت الروح بعد ذلك.. فهل لكلمة «فيريتي» معنى آخر غير (الحقيقة)..؟

قالت ذلك وراحت تنقل بصرها بين «لافينيا وكلوتيلد وأنثيا» فقالت «لافينيا»:

ـ إنّه اسم فتاة كنّا نعرفها.. ولذلك بهتنا.

وقالت «أنثيا»:

ـ خصوصاً وأنّها ماتت موتةً مخيفةً.

فقالت «كلوتيلد»:

ـ «أنثيا».. لا ضرورة لهذه التفصيلات.

فقالت «أنثيا» وهي تنظر إلى مس «ماربل»:

ـ إنّها تفصيلات يعرفها الجميع.. وكنت أظنّك تعرفينها بحكم صلتك بمستر «رافيل».. إنّه كتب إلينا عنك ففهمت أنّك لا بد تعرفينه.. وأنّه ربّما روى لك القصة كلّها.

فقالت مس «ماربل»:

ـ أنا آسفة.. إذ لم أفهم شيئاً مما تقولين.

فقالت «أنثيا»:

ـ لقد وجدت جثتها في حفرة..

كان من الواضح أنّ «أنثيا» متى انطلقت، فلا أحد يستطيع إسكاتها..

ولاحظت مس «ماربل» أنّ كلام «أنثيا» يشدّ أعصاب «كلوتيلد» التي ما لبثت أن أخرجت منديلها وجفّفت دموعها ثم اعتدلت في

جلستها وقالت وفي عينيها حزنٌ عميق:
ـ إنّ «فيريتي» هو اسم فتاة كانت تقيم معنا وكنت أحبّها من كل قلبي.
فقالت «لافينيا»:
ـ وهي أيضاً كانت تحبّك.
قالت «كلوتيلد»:
ـ كان أبواها صديقي، وقد ماتا في حادث طائرة.
فقالت «لافينيا»:
ـ وكانت تتلقى العلم في مدرسة «فالوفيلد» ولعلّ ذلك هو السبب في أنّ مس «تمبل» تذكّرتها.
فهتفت مس «ماربل»:
ـ آه.. فهمت.. كانت مس «تمبل» ناظرة تلك المدرسة.. أليس كذلك..؟
فقالت «كلوتيلد»:
ـ بلى.. وكانت «فيريتي» من تلميذاتها. فلمّا مات أبواها جاءت إلى هنا للإقامة معنا ريثما تتخذ قراراً بشأن مستقبلها.. كانت وقتئذ في الثامنة عشرة من عمرها.. فتاة حلوة.. دمثة الخلق، ممتلئة عطفاً وحناناً.. وقد فكّرت في أن تشتغل بالتمريض، ولكنّها كانت على جانبٍ عظيمٍ من الذكاء فأصرّت مس «تمبل» على ضرورة دخولها الجامعة.. وكانت تستعدّ لذلك حين وقع الحادث الرهيب..
قالت ذلك وأشاحت بوجهها وأردفت:
ـ حبذا تركُ الحديث في هذا الموضوع الآن..
فهتفت مس «ماربل»:
ـ طبعاً.. طبعاً.. كم أنا آسفة على أنّني أثرت هذه الذكريات المؤلمة.. الواقع أنّني لم أكن أعلم.. أعني أنّه لم يبلغني...

وارتج عليها القول فلاذت بالصمت.

ولكنها علمت المزيد في المساء، فقد جاءتها «لافينيا» وهي تستبدل ثيابها استعداداً للذهاب إلى الفندق وقالت لها:

ـ لقد خطر لي أن أوضح لك موضوع «فيريتي هانت».. وطبيعي أنّك كنت تجهلين مبلغ حب «كلوتيلد» للفتاة، وهول الصدمة التي أصابتها عقب مصرعها.. إنّنا نتجنّب الحديث عن الفتاة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وستدركين السبب متى أوضحت لك الحقائق.

يبدو أنّ الفتاة اتصلت دون علمنا بشاب غير مرغوب فيه ظهر فيما بعد أنّه شخص خطر له سجل حافل.. وكان هذا الشاب قد جاء لزيارتنا.. لأنّنا نعرف أباه جيداً..

وصمتت «لافينيا» قليلاً ثم قالت:

ـ أظنّ أنّه يحسن بي أن أذكر لك الحقيقة كلّها. كان هذا الشاب في الواقع هو ابن مستر «رافيل»... واسمه «مايكل»..

ـ أحقاً..؟ لقد سمعت فعلاً أنّ لمستر «رافيل» ابناً سيّء السلوك.

ـ بل هو أكثر من ذلك.. إنّه لص ومزور وذئب أعراض، وقد حوكم أكثر من مرة بتهمة الاعتداء على الفتيات.

كانت أمّه صديقتنا ولعلّ من حسن حظّها أنّها ماتت في مقتبل العمر فلم نر الهوة التي تردى فيها ابنها..

وقد فعل مستر «رافيل» ما يستطيع من أجل ابنه، فأوجد له أعمالاً تناسبه.. ودفع الغرامات التي حكم عليه بها. واستخدم أبرع المحامين للدفاع عنه في المحاكم..

وذات يوم، خرجت «فيريتي» لزيارة إحدى صديقاتها ولم تعد.

أبلغنا البوليس، فبحثوا عنها في كل مكان ولكنّهم لم يقعوا لها على أثر..

أعلنّا في الصحف عن فقدها.. وأذاع البوليس نشرةً بأوصافها..

وكان رجال البوليس قد بدءوا يراقبون «مايكل».. لاشتباههم في أنّ له يداً في سلسلة الجرائم التي حدثت في المنطقة في تلك الفترة.. ولكنّهم لم يتوصّلوا إلى دليلٍ حاسمٍ يدينه..

وراجت في هذه الأثناء إشاعةٌ بأنّ «فيريتي» شوهدت مع شابٍ يشبه «مايكل».. وفي سيارةٍ كسيارته.. ولكن لم يقم دليل على صدقٍ هذه الإشاعة.. إلى أن وجدت جثة الفتاة بعد ستة شهورٍ من اختفائها في بقعةٍ مهجورةٍ على بعد ثلاثين ميلاً.

وذهبت «كلوتيلد» للتعرّف عليها، وعرفتها رغم التشويه الذي أصاب وجهها.. عرفتها من علاماتٍ في جسدها، ومن ثيابها ومن محتويات حقيبتها.. وكانت صدمة قاسيةً لها لم تبرأ منها أبداً..

وكانت مس «تمبَل» أيضاً مشغوفةً بالفتاة.. ولا بد أنّها تذكّرتها حين ردّدت اسمها وهي تلفظ أنفاسها.

الفصل الخامس عشر

التحقيق

سارت مس «ماربل» ببطءٍ في طريقها إلى المحكمة لمتابعة جلسة التحقيق في حادث مصرع «إليزابيث تمبل».

نظرت في ساعتها ووجدت أنّها تستطيع أن تقضي نحو عشرين دقيقة في مشاهدة معروضات المتاجر بالشارع الرئيسي قِبل أن يحين موعد انعقاد المحكمة. فدخلت متجراً للخيوط والملابس الصوفيّة. وطلبت من صاحبته وهي سيدة عجوز لفافةً من الخيوط ذات اللون الوردي، تضارع تلك التي كانت تحيكها، فعرضت عليها السيدة بضعة نماذج وجدت بينها مس «ماربل» بغيتها..

ولاحظت صاحبة المتجر أنّ العميلة غريبة عن المنطقة، وأنّها لا بد وأن تكون من أعضاء الرحلة، وكان من الطبيعي أثناء العرض والبحث والمقارنة بين ألوان الصوف أن يدور الحديث حول الموضوع الذي يجري على ألسنة الناس في القرية، وهو موضوع الحادث المؤلم الذي وقع عند سفح التل، وفهمت مس «ماربل» مما ذكرته صاحبة المتجر أنّه ليس الحادث الأول من نوعه، وأنّ ثلاثة أو أربعة أشخاص ذهبوا من قبل ضحيّة انهيار الصخور من فوق التل. وأنّ الناس في القرية يعزون هذه الحوادث إلى الأمطار والسيول التي تخلي ما بين الصخور من رمالٍ فتزعزعها وتضعف تماسك بعضها ببعض فتنهار.

وفي نهايـة الحديث، دفعت مس «مـاربل» ثمن الخيـوط التي ابتاعتها وتظاهرت بالانصراف ولكنّها ما أن بلغت الباب حتى عادت أدراجها كمن تذكّر أمراً وقالت:

ـ هل أجد عندك قميصاً من الصوف لابن أخي؟ أعني قميصاً ذا ياقة مرتفعة وألوان صارخة من النوع الذي يرتديه الشبان في هذه الأيام..؟ وحبذا لو كانت نقوشه على شكل مربّعاتٍ حمراء وسوداء..

فعرضت عليها صاحبة المتجر مجموعـةً من القمصان المتعـددة الألوان وقالت إنّه لا يوجد لديها ولم يرد إليها قط أقمصة ذات مربّعات حمراء وسوداء.

وراحت مس «ماربل» تفحص الأقمصة ثم قالت كأنّما عرضاً:

ـ بمناسبة حادث التل.. يخيّـل إليّ أنّ هذه المنـطقة منكـوبة بالحوادث المفجعة، فقد قرأت مرة عن سلسلةٍ من جرائم القتل ذهب ضحيّتها عدد من الفتيات..

فهتفت صاحبة المتجر:

ـ آه.. هذا صحيح.. كان ذلك منذ بضعة أعوامٍ وقد قبضوا على المجرم، وهو شاب وسيم ظريف كان يبدو فوق الشبهات، ثم ثبت أنّ له سجلاً حافلاً رغم أنّه ينتمي إلى أسرةٍ كريمةٍ، وأنّ أباه رجل واسع الثراء.

وقد حامت الشبهات في البداية حول عـددٍ من الشبان، ثم أطلق سراحهم وأخيراً عثروا على جثة فتاةٍ ظنّوا أنّها «نورا برود»، التي اشتهرت بمغامراتها مع الشبان.

ـ ألم تكن جثتها..؟

ـ كلا.. جثة فتاة أخرى اختفت في نفس الفترة..

ـ ألم يعثروا على جثة «نورا برود»..؟

ـ كلا.. ربّما يعثرون عليها يوماً ما، ولكن الرأي السائد أنّها

ألقيت في النهر.

ـ والفتاة الأخرى..؟ أعني الفتاة التي وجدت جثتها..؟

ـ الفتاة الأخرى..؟ .. آه.. نعم.. إنّ اسمها لا يحضرني الآن.. لكنّها كانت تقيم في البيت القديم منذ مصرع أبويها في حادث طائرة..

ـ هل كان لها أقارب في ذلك البيت..؟

ـ لا أعلم.. ولكن يبدو أنّ مس «كلوتيلد» كانت صديقة لأمّها.. وكانت «كلوتيلد» مدلهة بحبّ الفتاة. وقد تحطّم قلبها عندما اختفت.. بخلاف مس «أنثيا»..

ـ مس «أنثيا» هي الأخت الصغرى فيما أعتقد.؟

ـ نعم.. وهي فتاة غريبة الأطوار.. تتحدّث إلى نفسها وتحرّك رأسها بطريقةٍ غريبةٍ.. والأطفال يخافونها ويفرّون من طريقها..

ـ ومس «كلوتيلد».. أهي غريبة الأطوار أيضاً..؟

ـ كلا.. إنّها ذكيّة وبارعة.. وتعرف اللاتينيّة واليونانيّة... وكانت تحبّ تلك الفتاة وتعاملها كابنتها.. إلى أن جاء ذلك الشيطان المدعو ماذا كان اسمه..؟ آه.. كان اسمه «مايكل» فيما أعتقد.. ولكنّي لا أظنّ أنّ مس «كلوتيلد» كانت تعلم أنّ الفتاة حامل.

ـ وهل كنت أنت تعلمين..؟

ـ إنّ للحمل علاماتٍ لا تخطئها العين..

وودّعتها مس «ماربل» وانصرفت.. وعرّجت على مكتب البريد حيث ابتاعت بعض الطوابع.

وكان المكتب خالياً من العملاء، فقالت لموظفة البريد:

ـ هل يضايقك أن أسألك معروفاً..؟ يبدو أنّني أصبحت في الفترة الأخيرة كثيرة الخطأ والنسيان.. بسبب السن طبعاً... لقد أرسلت طرداً يحتوي على بعض الملابس الصوفية إلى إحدى المؤسسات

الخيريّة... ولكنّي اكتشفت صباح اليوم أنّني أخطأت العنوان.. فهل لديك قائمة بعناوين الطرود التي ترسل من هذا المكتب..؟ إنّ العنوان الذي أردت إرسال الطرد إليه هو (الجمعيّة الخيريّة لعمّال أحواض السفن).

فنظرت موظفة البريد إلى محدّثتها طويلاً، وارتسمت على شفتيها ابتسامة عطفٍ وإشفاقٍ.

قالت:

- هل أحضرت ذلك الطرد بنفسك..؟

- كلا.. إنّني أقيم في البيت القديم.. وقد تفضّلت إحدى الشقيقات وأظنّها مس «كلوتيلد» - بإحضاره.

- كان ذلك يوم الثلاثاء فيما أعتقد. إنّ التي أحضرت الطرد هي مس «أنثيا».. الأخت الصغرى.

- نعم.. نعم.. أظنّ ذلك.

فقالت الموظفة وهي تبحث في دفترٍ أمامها:

- كان طرداً متوسّط الحجم فيما أذكر.. أما العنوان الذي أرسل إليه فهو (جمعية «إيستهام» لمساعدة النساء والأطفال).

- ما أشد غبائي... لقد خلطت بين الجمعيتين... هل أستطيع أن أصحّح العنوان..؟

- ذلك مستحيل.. فقد أرسل الطرد فعلاً..

- لا بأس... سأكتب إلى الجمعيّة لتحويله إلى العنوان المقصود.. شكراً جزيلاً لك..

وغادرت مس «ماربل» مكتب البريد لتجد نفسها وجهاً لوجهٍ أمام «أملين برايس وجوانا كروفورد»، ولاحظت أنّ الفتاة شديدة الامتقاع.

قالت «جوانا»:

ـ إنّني خائفة... فقد طلبت للإدلاء بأقوالي. ولا أعرف الأسئلة التي سيلقونها عليّ... إنّني ذكرت لرجل الشرطة كل ما أعرفه.

فقال «أملين برايس»:

ـ لا تنزعجي يا «جوانا»... إنّه التحقيق الابتدائي... ويتولّاه عادة أحد الأطباء... سيلقي عليك بعض الأسئلة وسترّوين له ما رأيت.

ـ ولكنّك أيضاً رأيت ما رأيته.

ـ نعم... إنّني رأيت شخصاً فوق التل.

ـ لقد ذهبوا إلى الفندق وفتّشوا أمتعتنا..

فقالت مس «ماربل»:

ـ لا بد أنّهم كانوا يبحثون عن قميصٍ ذي مربّعات سوداء وحمراء... فلا تنزعجي... إذ لو كان لديك مثل هذا القميص لما تحدثت عنه.

فقال «أملين برايس»:

ـ أنا شخصيّاً لا أستطيع تمييز الألوان جيداً.

فقالت «جوانا»:

ـ إنّهم لم يجدوا بين أمتعة الركاب قميصاً بهذه الصفة وهل رأيت أنت أحدهم يرتدي مثل هذا القميص..؟

ـ لا أظنّ.. ثم إنّني ما كنت لأتبيّنه لو أنني رأيته... فأنا لا أستطيع التمييز بين الأخضر والأحمر...

فقالت «جوانا»:

ـ آه... لقد نسيت أنّك مصاب بعمى الألوان.

كان الدكتور «ستوكس» ـ الذي تولى التحقيق ـ رجلاً في الحلقة الرابعة من عمره قد خط الشيب شعره..

استمع أولاً إلى تقارير رجال الشرطة.. ثم إلى التقرير الطبي

عن الإصابة وارتجاج المخ.. اللذين نجمت عنهما الوفاة.

وأدلت مسز «ساندبورن» بشهادتها عن الرحلة والحادث فقالت إنّ «إليزابيث تمبل» كانت موفورة النشاط رغم بلوغها سن الستّين.. وإنّها كانت تتقدّم زملاءها بمسافةٍ طويلةٍ في الممر المألوف المؤدي إلى القمة عندما وقع الحادث.

هل تعتقدين أنّه حادث عرضي وقع قضاء وقدراً؟

- نعم... إنّه لا يمكن أن يكون غير ذلك.

ثم جاء دور «جوانا كروفورد» فذكرت اسمها وسنّها، وسألها الدكتور «ستوكس»:

- هل كنت تسيرين مع أعضاء الرحلة..؟

- كلا... كنت أسلك طريقاً جانبياً غير الممر المألوف.

- هل كان معك أحد..؟

- نعم... مستر «أملين برايس».

- هل سرتما معاً بعيداً عن الآخرين..؟

- نعم.. أغلب الوقت.

- وهل رأيت مس «تمبل»..؟

- نعم.. كانت تسبق الآخرين ورأيتها تنحرف في إحدى الزوايا.. وتختفي عن بصري تماماً..

- وهل رأيت أحداً فوق قمة التل..؟

- نعم.. رأيت شخصاً منحنياً خلف صخرةٍ ضخمةٍ عند الحافة وهو يحاول زحزحتها من مكانها.

- هل كان الشخص رجلاً أم امرأة..؟

- لا أستطيع أن أجزم... ربّما كان رجلاً.. وربّما كان امرأةً.. ولكن من المؤكد أنّه كان يرتدي قميصاً من الصوف ذا ياقة مرتفعة.

- وماذا كان لون القميص..؟

ـ كان منقوشاً بمربعات سوداء وحمراء زاهية اللون. وكان الشخص يضع على رأسه (بيريه) يتدلى من تحته شعر طويل قد يكون شعر رجل أو امرأة.

فقال الدكتور «ستوكس»:
ـ من المؤكد أنّ التعرّف على الرجل أو المرأة من شعر الرأس أمر متعذّر في هذه الأيام.. وماذا حدث بعد ذلك..؟

ـ هبط الحجر من فوق القمّة وتدحرج أولاً ببطءٍ ثم زادت سرعته وسمعنا صوت انقضاضه وخيّل إليّ أنّني سمعت في ذات الوقت صرخة... ولكنّي لست واثقة من ذلك.

ـ ثم..؟
ـ أسرعنا نحو أحد الأركان ورأينا الحجر في الممر وتحته شخص..

ـ هل صدرت تلك الصرخة من مس «تمبل»..؟
ـ أظن ذلك.. كان الموقف رهيباً.
ـ وماذا حدث للشخص الذي رأيته في قمّة التل..؟ أعني الرجل أو المرأة ذات القميص الأحمر والأسود..؟ هل بقي ذلك الشخص في مكانه..؟

ـ لا أعلم... فقد كنت أنظر إلى مكان الحادث وأهرول نحوه لأرى إذا كان بوسعي أن أفعل شيئاً.

ـ هل يمكن أن يكون ذلك الشخص أحد أعضاء الرحلة..؟
ـ كلا... إنّني واثقة من ذلك إذ لم أر بين أعضاء الرحلة من يرتدي مثل ذلك القميص.
ـ شكراً لك يا مس «كروفورد».

ودُعي «أملين برايس» للشهادة فلم تختلف أقواله عن أقـوال «جوانا». .

وأخيراً قرّر الدكتور «ستوكس» أنّه لا توجد أدلّة كافية توضح ما إذا كان الحادث متعمّداً أو قضاء وقدراً، وأرجأ القضية أسبوعين.

الفصل السادس عشر

زيارة

غادر الجميع قاعة الجلسة في صمتٍ، وسار أعضاء الرحلة في طريقهم إلى الفندق وكانوا يسرعون الخطى، فتخلّفت مس «ماربل» وتخلّف معها الأستاذ «وانستيد».

سألته أخيراً:

- ماذا يحدث الآن..؟

- للقضية..؟

- نعم.

- سوف يتولّاها رجال الشرطة للقيام بمزيدٍ من التحريات على نسوء الشهادة التي أدلى بها الشابان.. فليس في وسع الدكتور «ستوكس» بعد هذه الشهادة أن يصدر قراراً بأنّ الحادث وقع قضاء وقدراً.

ووصلا إلى الفندق في منتصف الساعة الواحدة. واقترحت مسز «ساندبورن» تناول بعض العصير قبل الغداء، ثم قالت:

- لقد فهمت من الدكتور «ستوكس» ومن مفتّش البوليس أنّ بوسعنا أن نستأنف الرحلة... ستدفن مس «تمبل» في الساعة الحادية عشرة قبل ظهر غدٍ وقد اتفقت مع قس القرية بشأن الجنازة... والرأي عندي أن نستأنف الرحلة بعد غد..

سيطرأ على البرنامج بعض التعديل بطبيعة الحال، وقد علمت من بعض الأعضاء أنّهم يفضلون العودة إلى «لندن»، وأنا أفهم شعورهم ولن أحاول التأثير عليهم... إنّ ما حدث يدعو إلى الأسف، وما زلت أعتقد أنّه حدث قضاء وقدراً. وقد سبقته أحداث مماثلة في نفس المكان... ومهما يكن من أمر فإنّ السلطات المحلية المختصّة سوف تواصل التحقيق، ولذلك أقترح أن نكفّ عن مناقشة الحادث والتعقيب عليه. وأرجو أن يساعد استئناف الرحلة على صرفكم عن التفكير فيه.

* * *

وبعد الغداء، انتقل «وانستيد» ومس «ماربل» إلى شرفة الفندق وقال الأول:

ـ هل ستواصلين الرحلة يا مس «ماربل»..؟

فأجابت:

ـ كلا.. وأظنّ أنّ ما حدث سيحملني على البقاء هنا بعض الوقت. وثمّة بعض تحريات أود أن أقوم بها... وأنت..؟

يجب أن أعود إلى «لندن»، فلدي أعمال هناك اللهم إلاّ إذا رأيت أنّني أستطيع أن أفيدك هنا شيء.

ـ كلا.. في استطاعتك أن ترحل إذا شئت.

ـ إنّني لم أشترك في هذه الرحلة إلاّ لأقابلك يا مس «ماربل».

ـ وها نحن قد تقابلنا وأفضيت إليك بما أعلم.

ـ هل تشعرين بأنّ في الجو ما يريب... وأنّ بقاءك هنا ضروري..؟

ـ نعم... خاصة بعد مصرع مس «تمبل» الذي أعتقد أنّه لم يكن مجرّد حادث عرضي... رغم كلّ ما قالته مسز «ساندبورن»..

وثمة أمر أظنّ أنّني لم أذكره لك من قبل.. لقد قالت لي مس «تمبل» مرة أنّ رحلتها هذه كانت رحلة حج..

ـ ألم تقل لك إلى أين..؟ أو لمن..؟

ـ كلا... ولو قد امتدّ عمرها قليلاً واستطاعت الكلام لصارحتني... ولكن من سوء الحظ أنّ الموت دهمها بسرعةٍ.

ـ وما رأيك أنت..؟

ـ رأيي أنّ شخصاً شريراً تعمّد أن ينهي رحلتها قبل أن تصل إلى المكان الذي تقصد إليه... أو إلى الشخص الذي تريد مقابلته.

ـ ألهذا قررت البقاء..؟

ـ بل يوجد سبب آخر.. فإنّني أريد أن أعرف المزيد عن فتاة تدعى «نورا برود».

فنظر إليها في دهشةٍ وردد:

ـ «نورا برود»..؟

ـ إنّها فتاة اختفت في نفس الوقت مع «فيريني هانت».. وأذكر أنّك حدثتني عنها... كانت فتاة منحرفة سيئة السيرة... كان لها أكثر من صديق.

* * *

شهد الجنازة ـ عدا أعضاء الرحلة ـ أشخاص كثيرون رأت مس «ماربل» بينهم «لافينيا وكلوتيلد» وشخصين أو ثلاثة من أهل القرية يغلب على الظن أنّهم جاءوا بدافع الفضول بسبب ما أشيع من أنّ الحادث لم يكن قضاءً وقدراً..

وكان هناك أيضاً قسّ يناهز السبعين من العمر تبدو عليه مظاهر الضعف والمرض وقد رجّحت مس «ماربل» أنّه صديق قديم لمس «تمبل»، وأنّه ربّما قد جاء من مكانٍ بعيدٍ خصّيصاً لحضور الجنازة.

* * *

وبعد مغادرة الكنيسة... تحدثت مس «ماربل» مع زملائها وعرفت ماذا يفعل كل منهم... عرفت أنّ «بتلر» وزوجته سيعودان إلى «لندن» وكذلك مستر «كاسبار»، أما الكولونيل «ووكر» وزوجته، ومس «لوملي» وصديقتها مس «بنتهام» وكذلك مسز «بورتر» والمهندس «جيمسون»، فإنّهم قرّروا مواصلة الرحلة...

بقيت الصديقتان، مس «بارو».. ومس «كوك».

كان ترددهما واضحاً إلى أن حسمته مس «بارو» بقولها:

ـ إنّ المناظر الطبيعية هنا رائعة... وأظنّ أنّنا سنبقى في الفندق بعض الوقت.. أو ليس هذا ما ستفعلينه أنت أيضاً يا مس «ماربل»..؟

ـ أظنّ ذلك... فليست لدي المقدرة على الرحيل وأعتقد أنّ راحة يومين أو ثلاثة أيام هنا ستفيدني كثيراً بعد ما حدث.

* * *

وسار كلّ في طريقه، وانحرفت مس «ماربل» في شارع جانبي.. وأخرجت من حقيبتها ورقة كانت قد سجّلت عليها عنواناً، وبعد قليل كانت تدق باب بيتٍ صغيرٍ جميل في نهاية الشارع قبل انحداره نحو المزارع.

وفتحت الباب سيدة ضئيلة الجسم فسألتها مس «ماربل»:

ـ هل أنت مسز «بلاكيت»..؟

ـ نعم يا سيدتي.. ذلك هو اسمي..

ـ أريد أن أتحدث إليك دقيقة أو دقيقتين فهل أستطيع الدخول..؟ إنّني متعبة قليلاً وأشعر بدوار.

ـ ادخلي يا سيدتي.. وتفضلي بالجلوس.. هل أستطيع أن أفعل شيئاً من أجلك..؟

ـ كلا.. شكراً.. حسبي كوب ماء..

وعادت إليها مسز «بلاكيت» بكوب ماء.. وبحديثٍ طويلٍ عن قريبٍ لها تعتريه نوبات من الدوار تلقيه أرضاً في بعض الأحيان..

وبعد أن فرغت من حديثها قالت مس «ماربل»:

ـ قيل لي إنّك عمة فتاة تدعى «نورا برود».. فهل تعلمين أين أجدها..؟

ـ لماذا..؟

فأجابت مس «ماربل» كذباً:

ـ إنّ قريبة لي في «كندا» كانت مع «نورا» في المدرسة، ويبدو أنّها وجدت لها عملاً في «كندا».

فهزّت مسز «بلاكيت» رأسها ببطءٍ وقالت:

ـ نعم.. إنّ «نورا» ابنة أخي حقاً.. ولكنّها اختفت منذ وقتٍ طويل.. خرجت ذات يوم ولم تعد... كانت فتاة حمقاء لا تصلح لشيء... وقد أشيع أنّها قتلت.. ولكنّني لا أصدّق ذلك.. خاصة وأنهم لم يجدوا جثتها..

ـ وهل كانت متقدّمة في دراستها..؟

ـ أبداً... كانت خاملة... ولا همّ لها إلاّ مصاحبة الشبان، وأكبر الظن أنّها هربت مع أحدهم... وإني أتوقّع أن تعود ذات يوم بعد أن تكون قد تعلّمت درسها، واكتشفت خداع كل الوعود المعسولة التي تسمعها من الشبان.

ـ ألم يكن هنا من تستطيع الذهاب إليه عدا أسرتها..؟

ـ بل يوجد كثيرون كانوا يعطفون عليها.. هناك مثلاً أهل البيت القديم... وخاصة مس «كلوتيلد» التي طالما أخلصت لها النصيحة... وقدّمت إليها الكثير من الهدايا والثياب.. ولكنّ الفتاة

كانت تضرب بالنصائح عرض الأفق وتهرع إلى كلّ شابٍ يشير إليها بأصبعه..

أعلم أنّه لا يجدر بي ـ وأنا عمّتها ـ أن أقول كلاماً كهذا ولكنّها الحقيقة.

ـ وهل أبلغتم الشرطة عن اختفائها..؟

ـ طبعاً... ولكنّهم لم يصلوا إلى نتيجة... لقد ذهبت الفتاة دون أن تترك كلمة.. وقيل إنّها ركبت سيارة أحد الشبان ولم يرها أحد بعد ذلك. أمّا أنا فأعتقد أنّها الآن في «لندن» أو في مدينةٍ كبرى أخرى حيث تعرض الفتيات مفاتنهنّ من أجل المال..

ـ هل كانت جميلة..؟

ـ بل كانت من أجمل فتيات القرية... وكانت مفتونة بشعرها الأسود الطويل الجميل.

فقالت مس «ماربل» وهي تهمّ بالانصراف:

ـ لا شك أنّ قريبتي في «كندا» تجهل كلّ هذه الحقائق عنها... شكراً يا مسز «بلاكيت»، ومعذرة عمّا أضعت من وقتك.

الفصل السابع عشر

القس

عندما عادت مس «ماربل» إلى الفندق وهي لاهثة الأنفاس من التعب، هرعت إليها موظفة الاستقبال في الفندق قائلة:

ـ يوجد هنا شخص يريد مقابلتك يا مس «ماربل»... إنّه القس «بربازون»...

فبدت الدهشة على وجه مس «ماربل» وردّدت:

ـ القس «بربازون»..؟

ـ نعم... قال إنّه بحث عنك وعلم أنّك في الرحلة، ويريد أن يتحدث إليك قبل أن تعودي إلى «لندن» مع العائدين وقد أجلسته في بهو التليفزيون بعيداً عن الضوضاء.

فقصدت مس «ماربل» إلى البهو الذي ذكرته لها موظفة الاستقبال، ووجدت أنّ القس «بربازون» هو نفس القس العجوز الذي رأته في الكنيسة في الصباح..

ونهض الرجل واقفاً حالما رآها وقال وهو يقترب منها:

ـ مس «جين ماربل»..؟

ـ نعم... ذلك هو اسمي... هل أردت..

ـ أنا القس «بربازون».. وقد جئت صباح اليوم للاشتراك في جنازة صديقةٍ عزيزةٍ هي مس «إليزابيث تمبل».

ـ أحقاً؟ تفضل بالجلوس.

فجلس وقال:

ـ يجب أن أوضح لك سبب قدومي... الواقع أنني مررت بمستشفى «كاريستاون» وتحدثت إلى كبيرة الممرضات قبل ذهابي إلى الكنيسة... وهي التي قالت لي إنّ «إليزابيث» طلبت قبل موتها مقابلة إحدى أعضاء الرحلة واسمها مس «جين ماربل»، وإنّ مس «ماربل» زارتها وجلست معها فترة قصيرة قبيل الوفاة.

قال ذلك ونظر إلى مس «ماربل» بقلق، فقالت:

ـ هذا صحيح... وقد أدهشني أن ترسل مس «تمبل» في طلبي.

ـ هل أنت إحدى صديقاتها..؟

ـ كلا... إنّما قابلتها لأول مرة في هذه الرحلة. وذلك مبعث دهشتي لقد تحدّثنا معاً وتعارفنا.. ولكنّي لم أتوقّع أن ترسل في طلبي وهي مريضة.

ـ الواقع.. أنّها جاءت في هذه الرحلة لزيارتي. إنّني أقيم في «فيلمنستر» التي كان مقرّراً أن تصل إليها سيارة الرحلة بعد غد... كانت زيارتها لي أمراً متّفقاً عليه بيننا، فقد أرادت التحدث إليّ في أمورٍ تهمّها..

ـ هل لي أن ألقي عليك سؤالاً..؟

ـ سلي ما تشائين يا مس «ماربل».

ـ كان مما قالته لي مس «تمبل» أنّها لم تشترك في هذه الرحلة للمتعة... وإنّها بالنسبة إليها أشبه برحلة حج.

ـ هل قالت لك ذلك..؟ هذا كلام له مغزاه.

ـ إنّ ما أريد أنْ أسألك عنه الآن... هو... هل تعتقد أنّ رحلة الحج التي تكلّمت عنها هي زيارتك..؟

ـ أظنّ ذلك.

ـ لقد دار الحديث بيني وبينها عن فتاةٍ تدعى «فيريتي».

ـ آه.. نعم.. «فيريتي هانت».. إنّها ماتت منذ سنواتٍ عديدةٍ.. فهل تعلمين ذلك..؟

ـ نعم.. ولكنّ مس «تمبل» حدّثتني عن أشياء لم أكن أعلمها. قالت إنّ الفتاة كانت مخطوبة لابن مستر «رافيل» ومستر «رافيل» صديقي.. أو كان صديقي وهو الذي دفع نفقات هذه الرحلة.. وأعتقد أنّه كان يريدني أن أقابل مس «تمبل» لعلّها تستطيع أن تدلي إلي ببعض المعلومات.

ـ معلومات عن «فيريتي»..؟

ـ نعم.

إنّها حرصت على مقابلتي لهذا الغرض. كانت تريد الوقوف منّي على بعض الحقائق.

ـ كانت تريد أن تعرف لماذا فسخت «فيريتي» خطوبتها لابن مستر «رافيل»؟

ـ إنّ «فيريتي» لم تفسخ الخطوبة.. وأنا واثق من ذلك تمام الثقة.

ـ هل كانت مس «تمبل» تعرف هذه الحقيقة..؟

ـ كلا.. إنّها كانت تشعر بالحيرة والتعاسة بسبب ما حدث وكانت تهدف من زيارتها لي إلى الاستفسار عن الأسباب التي حالت دون إتمام الزواج.

ـ وما هذه الأسباب..؟ أرجو ألاّ تظنّ أنّني أسأل بدافع الفضول.. إنّني أقوم بمهمةٍ وأودّ أن أعرف لماذا لم يتمّ الزواج بين «مايكل رافيل» و «فيريتي هانت».

فحدّق القس في وجهها لحظة ثم سأل:

ـ هل لك صلة بهذا الموضوع. . ؟

ـ إنّني أنفّذ إرادة رجل مات. . . هذا الرجل هو والد «مايكل رافيل». .

فقال القس ببطءٍ:

ـ لست أرى سبباً يمنعني من مصارحتك بكل ما أعلم. . إنّك تسألينني عن أمورٍ كان في نيّة «إليزابيث تمبل» أن تسألها وهي أمور أنا نفسي أجهلها.

كان في نيّة هذين الشابين أن يتزوجا. . وقد أعدّا العدة لذلك، واتفقا معي على أن أعقد زواجهما. . . وفهمت منهما أنّ الزواج سيكون سراً. .

وكنت أعرف الفتاة جيداً. . منذ التحقت بمدرسة مس «تمبل». . فلطالما أقمت الصلاة في كنيسة المدرسة.

وكانت «فيريتي» من أجمل الفتيات، وأرجحهنّ عقلاً. . وأنبلهنّ خلقاً، وقد جاءت للإقامة مع مس «كلوتيلد براد بوري» عقب مصرع والديها في حادث طائرة. . . فأحبّتها «كلوتيلد» حبّاً لا حدّ له، وفعلت كلّ ما في طاقتها لإسعادها. . ووجد هذا صداه في نفس «فيريتي»، فأحبّت «كلوتيلد» كما لو كانت أمّها.

ولم تشأ «كلوتيلد» ـ وهي الذكيّة المثقّفة ـ أن ترغم الفتاة على دخول الجامعة. . . وتركت لها اختيار طريقها، فاختارت الفتاة الفنون والموسيقى. وأقامت في البيت القديم مع الشقيقات الثلاث، وكانت فيما أعلم سعيدة جداً.

ولم أر «فيريتي» بعد أن أقامت هنا. . فإنّ «فيلمنستر» حيث أقيم، تبعد نحو ستين ميلاً. . ولكنّي كنت أكتب إليها وأتلقى ردّها بمناسبة الأعياد المختلفة.

وجاءتني ذات يوم، فإذا هي فتاة ناضجة على جانبٍ كبيرٍ من الجمال.

وكان معها شاب وسيم.. هو «مايكل»... ابن مستر «رافيل».. وقالا لي إنهما متحابان.. ويريدان الزواج.

ـ وهلّ وافقت على عقد زواجهما..؟

ـ نعم... ولعلّك تعتقدين أنّه ما كان ينبغي لي أن أوافق... ولكنّي أدركت أنّهما جاءا إلي سراً. وتبادر إلى ذهني أنّ الآنسة «كلوتيلد براد بوري» ربّما لم توافق على هذا الزواج وحاولت إحباطه... وإنهاء الصلة بين الشابين، ولها كلّ الحق في ذلك. فإنّ «مايكل رافيل» لم يكن الزوج الذي تتمنّاه أيّة أمّ لابنتها.. كنت أعرف أباه وأعلم أنّه كان مصدر متاعب لذويه منذ نعومة أظفاره. وأنّه تورّط في كثيرٍ من الجرائم... ومثل أكثر من مرة أمام محاكم الأحداث وكانت له صلات بعديدٍ من الفتيات، ودخل السجن مرتين..

صفوة القول إنه كان شاباً منحرفاً سيء السيرة، ولكنّه كان وسيماً.. فأحبّته الفتيات وتورّطن معه. وكان إلى جانب ذلك ذكيّاً، كريماً وفيّاً لأصدقائه..

وعندما رأيتهما أمامي، لم أتردّد في مصارحة «فيريتي» بكلّ ما أعلمه عن الشاب الذي تريد الاقتران به. ولكنّي وجدت أنّه لم يحاول أن يخدعها وأنّه صارحها بحقيقته، وبمتاعبه مع القانون، ومغامراته مع الفتيات.. والمآزق التي تورّط فيها، والمشكلات والأحزان التي جلبها لأبيه.. ووعدها بأن يبدأ صفحةً جديدةً بعد الزواج. وبأنّ كلّ شيءٍ سوف يتغيّر.

فحذّرتها بأنّ ذلك لن يحدث، وبأنّ شيئاً لن يتغيّر. وقلت لها إنّ الناس لن يتغيّروا حتى ولو أرادوا.

فأجابت: إنّني أعلم ذلك أيضاً يا أبتاه. ولكنّي أحبّه، وسأحاول

أن أصلحه... وقد أنجح في ذلك وقد لا أنجح إنّها مخاطرة وسأرضخ لتبعاتها.

وأقول لك يا مس «ماربل» إنّني عقدت زواج كثيرين من الشباب... بعضهم سعد بالزواج، وبعضهم شقي به... ولكني كنت دائماً أعرف بفراستي... أيّهم الصادق في حبّه... وأيّهم الكاذب المخادع... ولست أعني بالحب، الجاذبية الجنسية. فإنّ الجنس لا يمكن أن يحتلّ مكانة الحب. ولا يمكن أن ينجح إلاّ به.. أمّا الحب، فإنّه العاطفة التي تتضمّن كلّ معاني الزواج... تتضمّن الإخلاص المتبادل في الغنى والفقر، وفي الصحة والمرض.

لقد أحسست بأنّ هذين الشابين متحابان.. وبأنّه لا توجد قوة يمكن أن تفرّق بينهما إلاّ الموت.

وإلى هنا تنتهي القصة، وليس بوسعي أن أذكر المزيد لأنّني لا أعرف ما حدث بعد ذلك.

كلّ ما أعرفه أنّني وافقت على أن أزوّجهما، وأنّني أعددت التدابير اللازمة لذلك، وحدّدنا اليوم والساعة والزمان والمكان، وإذا كان هناك ما ألام عليه، فهو أنّني وافقت على أن يكون الزواج سراً.

ـ هل أرادا ألاّ يعلم به أحد..؟

ـ نعم... كانت «فيريتي» تريد ألاّ يعلم به أحد، ومن المؤكد أنّ «مايكل» كان يريد ذلك أيضاً.. ولعلّهما كانا يخشيان أن يوقف الزواج لسبب أو لآخر.

وأعتقد أنّ الزواج ـ بالنسبة إلى «فيريتي»، كان يعني شيئاً آخر عدا الحب.. كان يعني تحقيق رغبتها في الفرار وهي رغبة طبيعية تولّدت من ظروف حياتها. فقد فقدت أبويها واستقبلت حياتها الجديدة وهي بعد تلميذة صغيرة خليقة بأن تفتتن بالشخصيات القوية و المحبوبة أو الجميلة التي تراها في محيط حياتها.. مثل مدرسة الألعاب

الرياضية أو مدرسة العلوم. . . أو أيّة فتاة أكبر منها سناً تتخذها مثلها الأعلى. ولكنّه افتتان لا يستمرّ طويلاً. . . لأنّه مجرّد مرحلة طبيعية من مراحل الحياة.

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية حين تدرك الفتاة أنّ الشيء الذي تريده حقاً هو الشيء الذي يكمل نقصها. هو صلة الرجل بالمرأة. ومن ثم تبدأ بحثها عن أليفٍ، فإذا كانت عاقلة. . فإنّها تتمهّل حتى يأتي الأليف المناسب.

وقد كانت «كلوتيلد براد بوري» شديدة العطف على «فيريتي». . «وكلوتيلد» لها شخصيّتها كامرأة. . فهي جميلة. . . وجذّابة ومثقّفة. . . وأعتقد أنّ «فيريتي» فتنت بها بطريقةٍ رومانتيكية وأنّ «كلوتيلد» أحبّت «فيريتي» كما لو كانت ابنتها من لحمها ودمها.

وهكذا ترعرعت «فيريتي» ونضجت في جوٍّ من الحبّ، وعاشت حياةً سعيدةً مثيرةً، ولكنّي أظنّ أنّها لم تلبث أن أحسّت ـ دون أن تلاحظ ذلك ـ برغبةٍ في الفرار. . . الفرار من الحب الذي يحيط بها ويتركّز فيها. . . الفرار فحسب. . . دون أن تعرف كيف وإلى أين. .

ولكنّها عرفت حين قابلت «مايكل». . . عرفت أنّها تريد الفرار إلى الحياة التي يجتمع فيها الرجل والمرأة لإنجاب الجيل التالي. . غير أنّها أدركت في ذات الوقت استحالة إقناع «كلوتيلد» وحملها على فهم شعورها. . . كانت تعلم أنّها لن تعترف بهذا الحب ولن تقرّه وستعارضه بكلّ ما أوتيت من قوة.

وإنّي أعترف الآن بأنّ «كلوتيلد» كانت على حق. وأنّ «مايكل» لم يكن الزوج الخليق «بفيريتي». . . وأنّ الطريق الذي سلكته الفتاة لم يقدها إلى حياةٍ هنيئةٍ وسعادةٍ سابغةٍ. . وإنّما قادها إلى الألم وخيبة الأمل بل وإلى الموت بأبشع صوره.

إنّني أحسّ بعقدة الذنب يا مس «ماربل». . لأنّني لم أدرك

غرض «مايكل» من كتمان أمر الزواج. . . أمّا غرض «فيريتي» فكان مفهوماً. . . كانت «كلوتيلد» شخصيّة قوية وكان يمكن أن تؤثّر على «فيريتي» وتقنعها بالعدول عن الزواج.

ـ هل تظن أنها فعلت ذلك. .؟ هل تظنّ أنّها حدّثتها عن «مايكل» بما يكفي لحملها على إهمال فكرة الاقتران به. .؟

ـ كلا. . . ولو قد فعلت لاتصلت بي «فيريتي» وأنبأتني.

ـ ماذا حدث فعلاً في اليوم المحدّد للزواج. .؟

ـ قلت لك إنّنا حدّدنا اليوم والساعة والمكان. . . وفي الوقت المحدّد، انتظرت العروسين. . . ولكنّهما لم يحضرا ولم يبعثا إلي بكلمة اعتذار. . وحتى الآن لم أعرف لماذا. . إنّني أفهم أن يعدلا عن الزواج. . ولكن ما لا أستطيع فهمه أو تصديقه. هو ألّا يبعثا إلي ولو بكلمةٍ واحدةٍ عن أسباب تخلّفهما عن الموعد المتفق عليه. .

لهذا رجوت أن تكون «إليزابيث تمبل» قد قالت لك شيئاً في هذا الصدد قبل موتها. . . أو أن تكون قد حمّلتك رسالة لي.

ـ إنها كانت تريد أن تعرف ما لديك من معلومات. أنا واثقة من أنّ ذلك كان غرضها من زيارتك.

ـ ربّما كنت على حق. . إنّني أفهم أن تكتم «فيريتي» أمر زواجها عمّن يستطيعون أن يملكوا منعه، مثل «كلوتيلد براد بوري» أو «أنثيا براد بوري». . . ولكن ليس هناك ما يمنعها من أن تفضي به بطريقةٍ ما، إلى شخصيّةٍ تحبّها ولها تأثير كبير عليها مثل «إليزابيث تمبل».

ـ أظنّ أنّها فعلت ذلك. .؟

ـ كيف. .؟

ـ إنّها أنبأتها بأنّها ستقترن «بمايكل رافيل» فقد قالت لي مس «تمبل»: «إنّني أعرف فتاة تدعى «فيريتي». . كانت على وشك الاقتران «بمايكل رافيل»».

والشخص الوحيد الذي كان في استطاعته أن ينهي إليها هذا النبأ هو «فيريتي».

إذن لا بد أن تكون «فيريتي» قد كتبت إليها.. أو أنبأتها بطريقة ما.. ولمّا سألت مس «تمبل»: ولماذا لم يتمّ الزواج..؟

أجابت: لأنّها ماتت.

فتنهّد القس وقال:

ـ إنّ كل ما أعلمه هو أنّ «فيريتي» و «مايكل» اتفقا على الزواج وفي الموعد المحدد، لم يظهر العريس ولم تظهر العروس، ولم يبعثا إلي بكلمة..

ـ أليست لديك أيّة فكرة عمّا يمكن أن يكون قد حدث..؟

ـ إنّني لا أعتقد أنّ «فيريتي ومايكل» يمكن أن يكونا قد اختلفا وافترقا إلى الأبد.

ـ ولكن لا بد أنّ شيئاً حدث بينهما... شيئاً فتح عيني «فيريتي» على حقائق عن أخلاق «مايكل» وشخصيّته لم تكن تعرفها من قبل.

ـ هذا جواب غير مقنع.. وحتى لو حدث هذا لكانت اتصلت بي وأنبأتني... ولم تتركني في انتظارهما.. خاصة وأنّها معروفة بالأدب والكياسة... كلا... كلا ليس هناك سوى شيء واحد يمكن أن يمنعها من القدوم أو الاعتذار.

ـ الموت؟

ـ نعم... الموت.

فقالت مس «ماربل» وهي مستغرقة في التفكير:

ـ الحب...

ـ ماذا تعنين..؟

ذلك ما قالته مس «تمبل»... سألتها «ماذا قتلها؟» فأجابت: «الحب»... ثم استطردت قائلة إنّه لا توجد في الدنيا كلمة أشد رهبة

من كلمة «الحب».

ـ أظنّ أنّني فهمت . .

ـ هل وجدت حلاً؟

ـ نعم . . إنّه انفصام الشخصية . . إنّني لست خبيراً بالمسائل الطبية والتحليل النفسي . . . ولكنّي أعتقد أنّ «مايكل رافيل» كان ذا شخصية مزدوجة. فهو تارة شاب لطيف مهذّب يبحث عن السعادة، وتارة أخرى شخصية مريضة مختلّة العقل والشعور، لا تتورّع عن قتل أحبّ الناس إليها لغير ما سبب.

ـ هل سبق أن بدا منه ما يؤيّد إصابته بازدواج الشخصية؟

ـ لا أعلم . . . كل ما أعلمه أنّه كان في مقدمة المشتبه فيهم عقب اختفاء الفتاة . . . وقد ظلّ موضع ريبة رجال الشرطة إلى أن وجدت الفتاة مخنوقة، ورأسها مهشّماً بطريقةٍ وحشيّةٍ لا يقدم عليها إلاّ مجنون.

فمرّت بجسد مس «ماربل» رعدة شديدة واستطرد القس قائلاً:

ـ لطالما تمنّيت . . وما زلت أتمنّى أن يكون من قتلها شخص آخر غير «مايكل» . . . شخص مجنون لا يعرف الناس مدى جنونه . . . شخص قابلته مصادفةً وركبت معه سيارته . . . ثم . . .

ـ من المحتمل أن يكون هذا ما حدث فعلاً . .

ـ لا أعلم . . . لقد كان موقف «مايكل» أثناء المحاكمة مزرياً قال أكاذيب كثيرة لا معنى لها . . . واستشهد بأصدقاء له كانوا أكذب منه . . كان مذهولاً . . وخائفاً . . ولم يقل شيئاً عن مشروع زواجه من «فيريتي» . . ويبدو أن محاميه نصحه بذلك حتى لا يقال إنّ الفتاة حملت منه وأرادت أن ترغمه على الاقتران بها فتخلّص منها بقتلها . . إنّني لا أذكر التفصيلات بعد مضي كل هذه السنين . . ولكنّ الأدلّة كانت كلّها ضدّه . . وكانت جريمته مسيطرة على وجهه . .

واستطرد القس:

- إنّني بائس وحزين يـا مس «ماربـل»، لأنّني أسأت الحكم والتقدير ولم أفهم الطبيعة البشرية، فشجّعت فتاة رقيقة طيّبـة على الذهاب إلى حتفها.

كنت أجهل الخطر الذي يترصّدها، وأعتقـد أنّها إذا أحسّت بخوفٍ منه، أو اكتشفت ناحيةً شريرةً في خلقه وطباعه، فإنّها لن تتردد في إنهاء علاقتها به. وصارحتني بما اكتشفته..

ولكنّ شيئاً من ذلك لم يحدث.. ولذا أتساءل: لماذا قتلها؟ هل قتلها لأنّه علم أنّها ستلد..؟ أو لأنّه اتصل بفتاةٍ أخرى ولم يشأ أن يرغم على الاقتران «بفيريتي»..؟ أو لأنّ شيئاً فيه أخافها منه فقطعت صلتها به فثارت ثائرته وقتلها ومثل بجثّتها؟

لا أحد يعلم..؟

- ولكنّك ما زلت تعلم وتؤمن بأمرٍ واحدٍ..

- ما هو..؟

- هو أنّ هذين العاشقين كانا يتبادلان الحبّ وكانا يعتزمـان الزواج فعلاً.. ثم حدث شيء منعهما من الزواج.. شيء انتهى بموت الفتاة.. ولولاه لحضرا إليك لعقد زواجهما.

- أصبت يا سيدتي العزيزة... إنّني لا أستطيع أبداً أن أفقد إيماني بعاشقين أرادا الزواج ومواجهة الحياة بحلوها ومرّها.. في الغنى والفقر.. وفي الصحة والمرض..

- لا تتزحزح إذن عن هذا الايمان.. فإنّني أيضاً أشاركك فيه..

- ولكن ماذا بعد ذلك..؟

- لا أعلم.. ولكنّي أظنّ أنّ «إليزابيث تمبل» كانت تعرف أو بدأت تعرف حقيقة ما حدث.. لقد قالت إنّ الحب كلمة رهيبة، فظننت أنّ الفتاة انتحرت، ربّما لأنّها اكتشفت فيمن تحبّ شيئاً

أزعجها. ولكن يبدو أنّ فكرة الانتحار في هذه الحالة مستحيلة.

- إنّ الإنسان لا ينتحر بتهشيم رأسه وتشويه وجهه..

- كذلك لا يستطيع عاشق أن يفعل ذلك بفتاةٍ أحبّها.. حتى لو اضطرّ إلى قتلها بدافع (الحب).. إنّه قد يقتلها خنقاً.. ولكنّه لا يهشّم الرأس ولا يشوّه الوجه الذي أحبّه.

ثم غمغمت قائلة:

- الحب.. يا لها من كلمةٍ مخيفةٍ!!!

الفصل الثامن عشر

وداع

وقفت السيارة بباب الفندق في صباح اليوم التالي، استعداداً لمواصلة الرحلة، واقتربت منها مس «ماربل» لتودِّع زملاءها.. ووجدت مسز «بورتر» تتميَّز غضباً، وتقول بصوتٍ مرتفعٍ:

ـ ما أعجب الفتيات في هذا الزمن!! لا نشاط.. ولا قوة.. ولا مقدرة على الاحتمال.

فنظرت إليها مس «ماربل» متسائلة واستطردت مسز «بورتر» قائلة:

ـ إنَّني أعني «جوانا»... ابنة أخي.

ـ ماذا بها..؟ هل هي مريضة..؟

ـ إنَّها تزعم بأنَّها تشعر بالتهابٍ في الحلق، وارتفاعٍ في درجة الحرارة.. كلام فارغ طبعاً..

ـ هل أستطيع أن أفعل شيئاً من أجلها..؟

ـ من رأيي أن تدعيها وشأنها.. كلُّ هذه أعذار.

فنظرت إليها مس «ماربل» متسائلة مرة أخرى.. فقالت مسز «بورتر»:

ـ ما أغبى الفتيات.. دائماً يقعن في الحب.

ـ «أملين برايس»..؟

ـ أرى أنّك لاحظت ذلك.. إنه شاب تافه لا يساوي قلامة ظفر.. شعر طويل.. وسروال ضيّق، وقميص ملوّن..

وقلبت شفتيها احتقاراً واستطردت قائلة:

ـ يبدو أنّهما اتفقا على التخلّف هنا لزيارة بعض المناطق الجبليّة على مسافة سبعة أو ثمانية أميال سيقطعانها سيراً على الأقدام..

ـ ولكن.. إذا كانت تشعر بالتهابٍ في الحلق.. وارتفاعٍ في درجة الحرارة.. فإنّ..

ـ سوف ترين بمجرّد رحيل السيارة أنّ الالتهاب قد زال وأنّ الحرارة قد هبطت... آه... أظنّ أنّه قد حان موعد الرحيل.. وداعاً يا مس «ماربل».

ونظرت مس «ماربل» حولها ورأت «وانستيد» يلوّح بيده مودّعاً المسافرين فقالت له:

ـ أريد أن أتحدّث إليك.. ألا يوجد هنا مكان هادىء..؟

ـ توجد الشرفة حيث كنّا نجلس منذ يومين..

وخرجا إلى شرفة الفندق هناك قال «وانستيد»:

ـ كنت أودّ أن أراك ترحلين بالسيارة في أمان. ماذا يبقيك هنا.. التعب أم شيء آخر..؟

ـ شيء آخر..

ـ لكم أودّ أن أبقى هنا لأعاونك وأسهر عليك!!

ـ كلا.. لا ضرورة لبقائك.. فهناك مهمّة أخرى أريدك أن تقوم بها.

ـ وما هذه المهمّة..؟

فأخرجت من حقيبتها قصاصة من الورق قدّمتها إليه وهي تقول:

ـ أريدك أن تذهب إلى هذا العنوان.. إنّه عنوان إحدى

الجمعيات الخيريّة.. سل هناك عن محتويات طردٍ أرسل إليهم من مكتب بريد هذه القرية منذ يومين..

فقال وهو يتناول الورقة:

ـ وهل لهذا الطرد شيء من الأهمية..؟

ـ قد تكون لمحتوياته أهمية عظمى.

ـ أرى أنّ لديك معلومات تودّين الاحتفاظ بسرّيّتها..

ـ إنّها ليست معلومات مؤكّدة.. ولكنّها مجرّد احتمالات لا أستطيع أن أجزم بصحّتها.

ـ هل ثمة شيء آخر..؟

ـ أظنّ... أظنّ أنّه ينبغي لمن يهمّهم الأمر أن يتوقّعوا ظهور جثّة ثانية..

ـ تعنين جثة ثانية لها صلة بالجريمة التي حدثت منذ نحو عشرة اعوام..؟

ـ نعم... أنا واثقة من ذلك.

ـ جثة ثانية..؟ جثة من..؟ جثة من..؟

ـ أظنّ أنّ لدي فكرة عن ذلك.

ـ وهل لديك كذلك فكرة عن مكانها..؟

ـ أنا واثقة من أنّني أعرف مكانها... ولكن لم يحن الوقت بعد لكي أذكره لك.

ـ لمن الجثة..؟ لرجلٍ أم امرأةٍ أم طفلٍ..؟

ـ إنّها لفتاةٍ اختفت من هنا منذ وقتٍ طويل.. فتاة تدعى «نورا برود».. وأظنّ أنّني عرفت المكان الذي دفنت فيه..

فحدّق «وانستيد» في وجهها طويلاً ثم قال:

ـ كلما مضيت في حديثك... قويت رغبتي في البقاء إلى جانبك لحراستك.

ـ كلا.. لا ضرورة لذلك..
ـ يخيّل إليّ من كلامك أنّك تعرفين أشياء كثيرة.
ـ أظنّ أنّني الآن أعرف أشياء كثيرة..
وفي هذه اللحظة فتح باب الشرفة ودخلت مس «كوك» ومس «بارو».. فهتف «وانستيد»:
ـ هالو.. ظننت أنّكما رحلتما بالسيارة.
فقالت مس «كوك» في مرح:
ـ لقد عدلنا عن رأينا في آخر لحظة. فقد وجدنا في هذه المنطقة بعض معالمٍ تستحقّ الزيارة. منها كنيسة قديمة من عهد «السكسون» تقع على بعد أربعة أميالٍ ويمكن الوصول إليها بالأوتوبيس المحلّي.. إنّني شديدة الاهتمام بهندسة الكنائس.
فقالت مس «بارو»:
ـ وأنا كذلك.. ولذلك فكّرنا في أن نقضي هنا يومين أو ثلاثة قبل أن نعود.
ـ هل ستقيمان في هذا الفندق..؟
ـ نعم... من حسن الحظ أنّنا وجدنا به غرفة فسيحة جميلة أفضل من تلك التي أقمنا بها خلال اليومين السابقين.
وهنا نظرت مس «ماربل» إلى الأستاذ «وانستيد» وقالت:
ـ أظنّ أنّك يجب أن تذهب الآن وإلّا فاتك القطار.
ـ حسنٌ.. إنّما أرجو..
ـ كن مطمئناً.. فإنّني أعرف كيف أعنى بنفسي.

الفصل التاسع عشر

مس ماربل لها رأي

ما أن همّت مس «ماربل» بارتشاف قهوتها في شرفة الفندق بعد الغداء حتى رأت شخصاً طويل القامة نحيفاً يقترب منها ويحدثها وهو لاهث الأنفاس.

كان ذلك الشخص هو «أنثيا برادبوري»..

قالت:

ـ كنّا نظنّ أنّك رحلت بالسيارة، وعلمنا الآن فقط أنّك تخلّفت عن الرحلة. وقد أرسلتني «كلوتيلد ولافينيا» لكي أرجوك أنِ تعودي للإقامة معنا إلى أن يحين موعد رحيلك.. سنكون سعداء حقاً إذا أنت استجبت لرجائنا.

فقالت مس «ماربل»:

ـ هـذا كرم منكنّ.. الـواقع أنّي كنت أنـوي الرحيـل مـع السيارة... ولكني أحسست بعد ذلك الحادث المؤلم بأنّني لن أستطيع مواصلة الرحلة.. وآثرت أن أستريح هنا ولو ليلة واحدة.

ـ سيكون أفضل لك أن تقيمي معنا.. وسنحاول أن نوفّر لك كل أسباب الراحة..

ـ إنّني لا أشكّ في ذلك... ولست أنكر أنّني نعمت معكنّ بالهدوء والراحة.. إنّ كـلّ ما عنـدكنّ جميل.. البيت والأثـاث.. والآنية..

ـ إذن يجب أن تعودي معي الآن.. سأساعدك في إعداد حقيبتك..

ولم يسع مس «ماربل» إزاء إصرار الفتاة إلّا أن توافق.. وبعد نحو نصف ساعة.. كانت تجلس مع الشقيقات الثلاث في قاعة الاستقبال..

قالت لنفسها:

ـ هأنذا قد عدت مرة أخرى.

وأغمضت عينيها لحظة، وحاولت أن تسبر غور مشاعرها وانطباعاتها عندما دخلت البيت القديم للمرة الثانية..

هل شعرت بأنّ في جو ذلك البيت القديم ما يثير الريبة؟

كلا.. لقد كان الجو ينمّ عن الشقاء والتعاسة أكثر مما يبعث على الارتياب..

وفتحت عينيها ونظرت إلى «لافينيا» وكانت قد دخلت في التو واللحظة حاملةً أقداح الشاي..

إنّها كالعهد بها امرأة عادية بسيطة خالية من العقد.

ترى هل روّضت نفسها بعد حياةٍ كلّها شقاء ومتاعب على إخفاء حقيقة مشاعرها عن عيون الناس..؟

ثم نظرت إلى «كلوتيلد».. إنّها تذكّرها بامرأةٍ إغريقيّةٍ تدعى «كليتمنسترا» تقول الأساطير إنّها قتلت زوجها في الحمام.. ولكن من المحقق أنّ «كلوتيلد» لم تقتل زوجها.. لأنّها لم يكن لها زوج قط. كذلك لا يمكن أن تكون قد قتلت الفتاة التي قيل إنّها كانت تحبّها حب عبادة.. إنّها واثقة من ذلك لأنّها رأت الدموع تترقرق في عينيها حين دار الحديث حول مصرع «فيريتي».

وماذا عن «أنثيا»..؟

إنّ «أنثيا» هي التي أرسلت الطرد بالبريد.

«وأنثيا» هي التي جاءت لتدعوها للإقامة في البيت.

الواقع أنها لا تستطيع أن تفهم هذه الفتاة.. إنّ عينيها تدوران حولها بسرعةٍ وكأنّها تخشى شيئاً.. ولكن ماذا تخشى..؟ هل هي مريضة عقلياً وتخشى أن يعيدوها إلى المصحّة التي قضت فيها بعض سنيّ حياتها..؟ هل تخشى أن تظنّ أختاها أنّه ليس من الحكمة أن تظلّ طليقة..؟ هل تشفق أختاها مما قد تقوله أو تفعله..؟

كان في الجو شيء... ولكن ما هو..؟

* * *

وخرجت «لافينيا» بأقداح الشاي وانطلقت «أنثيا» إلى الحديقة.. وبقيت «كلوتيلد» وحدها مع مس «ماربل»..

قالت هذه الأخيرة:

ـ هل تعرفين قسّاً يدعى «بربازون»..؟

ـ نعم... إنّه كان في الكنيسة أمس... هل تعرفينه أنت..؟

ـ كلا.. ولكنّه زارني في الفندق وتحدث إلي. قال إنّه ذهب إلى المستشفى بعد وفاة مس «تمبل». وسأل عمّا إذا كانت قد تركت له رسالة.. ويبدو أنّ مس «تمبل» كانت تنوي زيارته. وقد أجبته بأنّها كانت في غيبوبةٍ طوال فترة زيارتي لها. وأنّها لم تحمّلني أية رسالة له..

فقالت «كلوتيلد»:

ـ ألم تقل شيئاً..؟ ألم تقل أي شيء يوضح الحادث الذي أودى بحياتها..؟

ـ كلا..

ـ هل تعتقدين أنّه وقع قضاء وقدراً.. أو أنّ ما قالته «جوانا كروفورد» «وأملين برايس» من أنّهما رأيا شخصاً يدحرج الحجر له نصيب من الصحة..؟

ـ ما داما قالا ذلك فلا بد أنّهما رأياه..

ودخلت «أنثيا» في هذه اللحظة وهي تحمل باقةً من الزهور البيضاء.. قالت وهي تضحك ضحكةً عصبيةً غريبةً:

ـ لقد أحضرت باقةً من الزهور الجنائزيّة..

فعبست «كلوتيلد» وصاحت:

ـ «أنثيا»... لا ينبغي أن تقولي كلاماً كهذا.

فضحكت «أنثيا» في مرحٍ وقالت:

ـ سأذهب لأضعها في إناء.

وخرجت فقالت «كلوتيلد»:

ـ إنّ حالتها تزداد سوءاً يوماً بعد يوم..

ـ هل يقلقك أمرها..؟

ـ إنّها أصغرنا... وكانت دائماً معتلّة الصحة شاذّة في تصرّفاتها.. ولكن من المؤكد أنّها ازدادت سوءاً في الفترة الأخيرة. لأنّها لا تقدّر المسئولية. وتضحك ضحكاتٍ هستيريّةٍ بلهاء حين لا يكون هناك ما يستوجب الضحك.. نحن لا نريد أن نرسلها إلى.. أي مكانٍ آخر.. إنّها بحاجةٍ إلى العلاج ولكنّها ترفض مغادرة البيت.. إنّه بيتها على كلّ حال..

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة:

ـ إنّ «لافينيا» تريد العودة إلى كوخها بالقرب من «لندن». وأعتقد أنّها تخشى «أنثيا» رغم أنّني طالما قلت لها إنّه ليس هناك ما تخشاه منها... إنّها تقول أشياء غريبة وتبدي أفكاراً شاذّةً في بعض الأحيان.. ولكنّها ليست خطرة..

لقد فكّرت في بيع هذا البيت، والانتقال إلى مكانٍ آخر، لعلّ تغيير البيئة والجو يفيداها.

ـ لا شك أنّ من بواعث ألمك وحزنك. أن تجدي نفسك هنا

وسط كل ذكريات الماضي!!

ـ أتدركين ذلك..؟ إنّني أعود بأفكاري دائماً إلى تلك الابنة العزيزة المحبوبة.. كانت جميلة وذكيّة وفاتنة وممتازة وكنت أحبّها وأفخر بها.. ثم جاء ذلك المعتوه المريض العقل..

ـ تعنين «مايكل رافيل»..؟

ـ نعم.. وليته ما جاء.. كان يقيم في هذه المنطقة واقترح عليه أبوه أن يزورنا فجاء وتناول الطعام معنا.. وكان ظريفاً رغم انحرافه وماضيه الحافل بالجرائم.. ولم أتصوّر أبداً أنّ «فيريتي» يمكن أن تقع في حبائله.. ظننت في البداية أنّ الأمر مجرّد افتتان.. كما يحدث مع الفتيات عادةً في مثل هذه السن.. ولكنّها تدلهت في حبّه، وصارت لا تفكّر إلّا فيه.. وترفض سماع أية كلمة ضدّه.. وتصرّ على أنّ كلّ ما حدث له، كان خارجاً عن إرادته ولا ذنب له فيه.. وأنّ جميع الناس يناصبونه العداء ظلماً. إلى آخر هذه العبارات الجوفاء المألوفة..

ولمّا لم تجد معها النصائح، حاولت أن أبعده عن البيت، وطلبت إليه أن يكفّ عن زيارتنا.. وكان ذلك خطأ بطبيعة الحال، أدركته فيما بعد، لأنّها راحت تقابله خارج البيت في أماكن مختلفة، كان ينتظرها بسيارته في أماكن متّفق عليها بينهما.. ويعيدها آخر الليل، وحدث مرة أو مرتين أنّه لم يعدها إلّا في اليوم التالي.. وحاولت أن أقنعهما بأنّ كلّ ذلك يجب أن ينتهي.. ولكنّهما أبيا الإصغاء إلي..

ـ هل كان في نيّتها الاقتران به..؟

ـ لا أظنّ أنّ الأمر وصل إلى هذا الحد.. ولا أعتقد أبداً أنّه أراد الزواج أو فكّر فيه.

ـ مسكينة أنت.. لا بد أنّك تألّمت كثيراً.

ـ نعم... وكانت أشدّ آلامي عندما دعيت للتعرّف على جثتها. بعد أن اختفت مدّةً طويلةً، وانقطعت أخبارها.. لقد تبادر إلى أذهاننا

حين اختفت أنّها فرّت معه وتوقّعنا أن يصلنا نبأ عنها في وقتٍ قريبٍ.. ولكنّ رجال البوليس كانوا ينظرون إلى الموضوع نظرةً أخرى، فاستدعوا «مايكل» وطلبوا إليه أن يتعاون معهم في البحث عنها.

وأخيراً وجدوا جثتها في مكانٍ مهجورٍ يبعد عن هنا نحو ثلاثين ميلاً.. وذهبت إلى المشرحة لرؤيتها.. كان منظراً مخيفاً. يدلّ على منتهى القسوة والوحشيّة. لماذا فعل بها ذلك؟ ألم يكفه أنّه قتلها خنقاً.؟ أواه.. لم أعد أطيق الحديث في هذا الموضوع.

وانهمرت الدموع من عينيها.. فقالت مس «ماربل»:

- إنّني جد آسفة.

فقالت «كلوتيلد»:

- إنّني لا أكفّ عن التفكير في «فيريتي»، وفي الطريقة البشعة التي قتلت بها.. ولكنّي أشعر ببعض العزاء أحياناً عندما أفكّر أنّ الفتيات قد أمن شر ذلك المنكود.. لقد حكم عليه بالسجن المؤبّد.. وهو سجين الآن ولن يسمح له بالخروج حيّاً حتى لا يرتكب جرائم أخرى.. على أنّني أتساءل، لماذا لم يرسلوه إلى إحدى المؤسسات التي يضعون فيها المجرمين غير المسئولين. أعني المجرمين ذوي العقول المريضة..؟ أنا واثقة من أنّه لم يكن مسئولاً عمّا فعل.

قالت ذلك ونهضت، وغادرت الغرفة في لحظة دخولِ «لافينيا»..

قالت هذه وهي تجلس:

- لا تعبئي بكلّ ما تقوله «كلوتيلد».. إنّها لم تبرأ تماماً بعد من الصدمة التي أصابتها من مصرع «فيريتي».. كانت تحبّ «فيريتي» بجنون..

- ويبدو أيضاً أنّها قلقة على أختك الأخرى.

- «أنثيا»..؟ إنّ «أنثيا» بخير.. صحيح أنّها عصبيّة وسريعة

الانفعال، وتتخيّل أموراً بعيدة عن الحقيقة. ولكن ليس ثمة ما يدعو «كلوتيلد» للقلق عليها..

يا إلهي.. من الذي يطلّ من النافذة..؟

فنظرت مس «ماربل»، ورأت في إطار النافذة وجهين مألوفين.. وجهي مس «بارو» ومس «كوك»..

قالت الأولى:

ـ معذرة، فقد كنّا نمرّ من هنا وخطر لنا أن نسأل عن مس «ماربل».. قيل لنا في الفندق أنّها جاءت للإقامة هنا.. آه.. أهذه أنت يا مس «ماربل» العزيزة.. لقد أردت أن أقول لك إنّنا لن نذهب إلى تلك الكنيسة اليوم لأنّها مغلقة بسبب أعمال الترميم والنظافة ولكنّنا سنذهب غداً.. وقد خطر لي أنّك ربّما تودّين مرافقتنا إليهامعنا غداً. أرجو أن تغفري لنا وقوفنا أمام النافذة. الواقع أنّني دققت الجرس فلم يدق.

فقالت «لافينيا»:

ـ إنّه متقلّب المزاج يدقّ تارةً ويتمرّد تارةً أخرى... لماذا لا تتفضلان بالدخول..؟

ـ شكراً.. إنّنا سنعود الآن إلى الفندق لتناول طعام العشاء. ألا تأتين معنا يا مس «ماربل»..؟

ـ كلا... فقد تفضّل آل «براد بوري» بدعوتي للإقامة هنا ليلة أخرى.

ـ ما أسعد حظك.. أنا واثقة من أنّك ستجدين هنا الراحة التي تنشدينها.. والواقع.. أنّ الجلبة في الفندق لا تطاق..

فقالت «لافينيا»:

ـ لماذا لا تعودان بعد العشاء لتتناولا معنا قدحاً من القهوة..؟

ـ شكراً لك.. سوف يسعدنا حقاً أن ننعم بكرم ضيافتك.

الفصل العشرون

الساعة تدق الثالثة

- ١ -

عادت مس «كوك» ومس «بارو» إلى البيت القديم في منتصف الساعة التاسعة تماماً. .

وقبل قدومهما، كانت مس «ماربل» تتناول العشاء مع الشقيقات الثلاث، فقالت «أنثيا»:

- أليس غريباً أن تتخلّف هاتان السيدتان عن الرحلة. . ؟

فأجابت مس «ماربل»:

- وأية غرابة في ذلك. . ؟ لا شك أنّ لديهما خطة مرسومة وضعتاها بدقةٍ متناهية.

- ماذا تعنين. . ؟

- أعني أنّهما وضعتا في حسابهما كافة الاحتمالات وأعدّتا العدّة لها. .

- يخيّل إلي أنّ فيهما شيئاً من الغموض. . ألا تظنّين ذلك يا «كلوتيلد». . ؟

فأجابت «كلوتيلد»:

- لعلّك على حق. . فإنّ في سلوكهما كثيراً من الزيف.

فقالت مس «ماربل»:

ـ الواقع أنّني لم ألاحظ ذلك. . ولكن دعونا منها. . لقد قضيت هنا اليوم وقتاً رائعاً. . وغداً صباحاً سأزور الحديقة وأتفقّد زهور الشجيرات التي نبتت فوق أنقاض بيت الزهور. . لقد رأيتها منذ يومين وكانت قد بدأت تتفتّح وأعتقد أنّني سأجدها غداً باقة يانعة تذكّرني دائماً بزيارتي لهذا البيت.

فقالت «أنثيا»:

ـ إنّني أمقتها وأريد إزالتها لكي أقيم مكانها بيتاً جديداً للزهور. . وهذا ما سنفعله حتماً متى توفّر لدينا المال الكافي، أليس كذلك يا «كلوتيلد». . ؟

فقالت «كلوتيلد»:

ـ أظنّ أنّنا بحثنا هذا الموضوع مراراً. . ثم ما حاجتنا الآن إلى بيتٍ للزهور. . ؟

فقالت «لافينيا»:

ـ لا ضرورة لهذه المناقشات العقيمة. . هلمّوا بنا إلى قاعة الاستقبال فقد حان موعد قدوم ضيفتينا.

* * *

وجاءت الضيفتان، فقدمت «كلوتيلد» لكلّ منهما قدحاً من القهوة. . ثم انطلقت إلى المطبخ وعادت بقدحٍ ثالثٍ وضعته أمام مس «ماربل» فقالت مس «كوك»:

ـ معذرة يا مس «ماربل». . لو أنّني في مثل سنّك ما شربت القهوة في مثل هذه الساعة. . إنّها سوف تصيبك بالأرق.

ـ أتظنّين ذلك. . ؟ إنّني تعودت احتساء القهوة في المساء.

ـ نعم، ولكن هذه القهوة قوية ومركّزة. . ونصيحتي لك ألاّ تشربيها. .

فنظرت إليها مس «ماربل»، ورأت على وجهها دلائل القلق ولاحظت أنّها غمزت قليلاً بعينها، فقالت:

ـ أظنّك على صواب.. هل توفرت على دراسة أصول التغذية..؟

ـ تلك إحدى هواياتي.. وقد تدرّبت كذلك على التمريض.. فإنّ كلاّ منهما يرتبط بالآخر..

ـ هذا صحيح..

ونحّت مس «ماربل» القدح جانباً وقالت:

ـ هل لديكم صورة لتلك الفتاة..؟ أعني «فيريتي هانت»..؟ لقد أطنب القس في وصفها، ويبدو أنّه كان يحبّها.

فقالت «كلوتيلد»:

ـ إنّه كان يحبّ جميع الشباب..

وسارت إلى مكتب صغير في ركن الغرفة، وفتحت أحد الأدراج، وتناولت منه صورة قدّمتها إلى مس «ماربل» وهي تقول:

ـ إليك صورتها.

فهتفت مس «ماربل» وهي تتأمّل الصورة:

ـ يا له من وجهٍ فاتن.. إنّه وجهٌ غير عادي.. مسكينة تلك الفتاة..

فقالت «أنثيا»:

ـ من المزعج أنّ ما حدث لها.. ما زال يحدث لكثير من الفتيات.. إنّهن يصادقن كل من هب ودب من الشباب دون أن يهتمّ أحد بتبصيرهنّ وتوجيههنّ الوجهة السليمة..

فقالت «كلوتيلد»:

ـ إنّ على الفتيات في هذه الأيام أن يحرصن على أنفسهنّ.. ولكنّهن لا يعرفن كيف.. كان الله في عونهن.

ومدّت يدها لتستردّ الصورة من مس «ماربل»، ومسّ كمّها قدح القهوة فسقط على الأرض..

وهتفت مس «ماربل» في انزعاج:

ـ يا إلهي.. هل أنا السبب..؟ هل دفعت ذراعك دون أن أشعر..؟

فقالت «كلوتيلد»:

ـ كلا... إنّه كمّ ثوبي... هل أحضر لك قدحاً من اللبن الدافىء ما دامت القهوة لا تلائمك..؟

ـ أكون شاكرة لو فعلت... إنّ اللبن الدافىء يلطّف من توتّر الأعصاب قبل النوم..

* * *

وبعد حديثٍ قصير، استأذنت مس «كوك» ومس «بارو» للانصراف، وأحدثتا عند رحيلهما جلبةً وهرجاً لا مبرّر لهما.. إذ نسيت إحداهما حقيبة يدها فعادت مهرولةً لتأخذها.. ونسيت الأخرى منديلها وفعلت المثل.. وما أن انصرفتا حتى تنفّست «أنثيا» الصعداء وقالت:

ـ ضجيج... ضجيج... ضجيج لا نهاية له.

فقالت «لافينيا»:

ـ إنّني أؤيّد «كلوتيلد»... في أنّ بهما شيئاً من الزيف.

وقالت مس «ماربل»:

ـ ذلك رأيي أيضاً... لقد فكّرت في أمرهما طويلاً وتساءلت لماذا اشتركتا في هذه الرحلة.. وهل استمتعتا بها وما سبب قدومهما.؟

فسألتها «كلوتيلد»:

ـ وهل عرفت الإجابة عن كلّ هذه الأسئلة.؟

وأحضرت «كلوتيلد» من المطبخ قدحاً من اللبن الدافىء ورافقت مس «ماربل» إلى غرفتها وهناك سألتها:

ـ هل تحتاجين إلى شيءٍ آخر..؟ أي شيء..؟

ـ كلا.. إنّني شاكرةَ لك ولأختيك ما فعلتنّ من أجلي.

ـ ما كان ينبغي أن نفعل أقلّ ممّا فعلنا.. خاصة بعد أن تسلّمنا رسالة مستر «رافيل»..

ـ لقد كان رجلاً كريماً ذا عقل مرتب.

ـ وأعتقد أنّه كان كذلك من كبار رجال المال.. هل أرسل لك طعام الإفطار في الصباح..؟ ربّما تفضّلين عدم مغادرة غرفتك..

ـ كلا... كلا... لن أكلّفك كل هذا العناء.. سأتناول الإفطار في قاعة الطعام.

ـ إذن طابت ليلتك.. أتمنّى لك نوماً هنيئاً.

ـ ٢ ـ

دقّت الساعة في بهو البيت القديم الثانية.

كان بالبيت أكثر من ساعةٍ، وكلّها لا تدقّ معاً.. وبعضها لا يدقّ أبداً.

وبعد ساعةٍ، دقّت ساعة الطابق الأول الثالثة، ورأت مس «ماربل» ضوءاً ينبعث من الفراغ تحت باب غرفتها.. فاعتدلت جالسةً في فراشها. ووضعت أصبعها على زرّ المصباح الكهربائي.

واختفى الضوء، وفتح الباب بهدوءٍ، وسمعت مس «ماربل» وقع خطى بطيئة لا تكاد تسمع، فضغطت زرّ المصباح.. وتألّق النور في الغرفة.

هتفت:

ـ آه... أهذه أنت يا مس «كلوتيلد»..؟

ـ نعم. . . ظننت أنّك ربّما كنت بحاجةٍ إلى شيء.
فرمقتها مس «ماربل» بعينيها.
كانت ترتدي غلالة حمراء طويلة، زادت قوامها الفارع طولاً . .
وقد انسدل شعرها الأسود الجميل على كتفيها العريضتين. . فلم تتمالك مس «ماربل» من الاعجاب بها. . وإن كان مظهرها قد ذكّرها على الفور ببطلة إحدى المسرحيات الإغريقيّة. . بتلك المرأة التي قتلت زوجها في الحمام.
قالت «كلوتيلد»:
ـ هل أنت واثقة من أنّك لست بحاجة إلى شيء. .؟
ـ نعم. . . شكراً لك.
ثم استطردت قائلة بلهجة الاعتذار:
ـ يؤسفني أنّني لم أشرب اللبن.
ـ لماذا بحق السماء. .؟
ـ ظننت أنّه لا يلائمني. .
فوقفت «كلوتيلد» بجانب الفراش وحملقت نحوها. . فأكملت مس «ماربل» عبارتها بقولها:
ـ من الناحية الصحية. .
فقالت «كلوتيلد» بخشونة:
ـ ماذا تعنين. .؟
ـ أظنّ أنّك تعرفين ما أعني. . بل لعلّك تعرفينه منذ المساء. .
وربّما قبل ذلك أيضاً.
ـ لست أفهم شيئاً ممّا تقولين.
ـ حقاً. .؟
قالت ذلك بصوتٍ يجمع بين السخرية والاستفسار ولكنّ «كلوتيلد» تجاهلت السؤال وقالت:

ـ أظنّ أنّ اللبن أصبح بارداً. . سآتيك بكوبٍ آخر ومدّت يدها وتناولت كوب اللبن فقالت مس «ماربل»:

ـ لا تزعجي نفسك، لأنّك لو أحضرت كوباً آخر فلن أشربه.

ـ الواقع أنني لا أفهم ما تعنين. . إنّك غريبة الأطوار حقاً. . فأيّة امرأة أنت. .؟ ولماذا تتكلّمين هكذا. .؟ من أنت. .؟

ـ إنّني أمثّل العدالة الإلهية التي تبطىء أحياناً ولكنّها تأتي في النهاية.

ـ ما زلت لا أفهم عن أي شيءٍ تتحدّثين. .

ـ عن فتاةٍ جميلةٍ قتلتها.

ـ فتاة قتلتها. .؟

ـ فتاة تدعى «فيريتي».

ـ ولماذا أقتلها. .

ـ لأنّك كنت تحبّينها.

ـ طبعاً كنت أحبّها بل كنت أعبدها. . وكانت بدورها تحبّني.

ـ لقد قال لي بعضهم منذ وقتٍ ليس ببعيدٍ إنَّ الحب كلمة مخيفة.

إنّك أحببت «فيريتي» حباً جمّاً. وكانت كلّ شيءٍ في الدنيا بالنسبة إليك. .

وكانت هي بدورها تحبّك وتخلص لك إلى أن طرق قلبها حب آخر مختلف تماماً. .

فقد أحبّت شاباً لعلّه لم يكن خير نموذج للشباب، ولكنّها أحبّته، وأحبّها، وأرادت الخلاص من قيود الحب الذي تعيشه معك لكي تحيا حياتها مع الرجل الذي وقع عليه اختيارها ليكون أباً لأولادها.

فجلست «كلوتيلد» على مقعدٍ بجوار الفراش وقالت بهدوء:

ـ يخيّل إلي أنّك فهمت كلّ شيءٍ.

ـ نعم. . . لقد فهمت كل شيء.

ـ إنّ ما ذكرته صحيح. . . ولن أنكره. . . ولا يهمّ الانكار أو عدمه.

ـ صدقت. . فلا أهمية للإنكار.

ـ هل يمكنك أن تدركي كم تعذّبت. .؟

ـ نعم. . . أستطيع أن أدرك ذلك.

ـ هل تدركين مدى شقاء الشخص الذي يعلم أنّه سيفقد أحبّ شيء في الدنيا إلى قلبه. .؟ ويفقده من أجل شاب منحرفٍ لا أخلاق له؟ شاب تعس غير جدير بالمخلوقة الجميلة الرائعة التي أحببتها أكثر من نفسي. .؟

كان لا بد لي أن أمنع هذه الجريمة.

ـ وهكذا آثرت أن تقتلي الفتاة بدلاً من أن تسمحي لها بالذهاب إلى حيث تريد. . قتلتها لأنّك أحببتها. .

ـ أتظنّين أنّه كان في استطاعتي أن أفعل شيئاً كهذا. .؟ أتظنّين أنّه كان في مقدوري أن أخنق الفتاة التي أحببتها؟ أتظنّين أنّه كان في مقدوري أن أهشّم رأسها وأشوّه وجهها. .؟

ذلك لا يفعله إلاّ رجل فاجر شرير لا يعرف معنى الرحمة. .

ـ نعم. . . إنّني أعلم أنّك كنت تحبّين الفتاة ولا يمكن أن تفعلي ذلك.

ـ أرأيت. . . أنّك تناقضين نفسك. .؟

ـ أنت لم تفعلي ذلك بالفتاة التي كنت تحبّينها. لأنّ «فيريتي» ما زالت هنا. . إنّها في الحديقة وأكبر الظنّ أنّك لم تخنقيها. . . وإنّما قدّمت إليها قدح قهوة أو كوب لبن به كمّية كبيرة من مادة منوّمة، ولما ماتت حملتها إلى الحديقة ودفنتها تحت أنقاض بيت الزهور وغرست فوقها من الأعشاب المتسلّقة ما حجبها تماماً.

إنّ «فيريتي» بقيت معك هنا لأنّك أبيت أن تتخلّي عنها.

ـ أيتها الحمقاء.. أيتها العجوز الحمقاء.. هل تظنّين أنـك ستغادرين هذا المكان وأنت على قيد الحياة لكي تروي هذه القصة.

ـ إنّني لست واثقة من ذلك، خاصة وأنّك امرأة قوية. وأقوى مني كثيراً..

ـ يسرّني أنّك تدركين ذلك.

ـ وأنت فضلاً عن ذلك بلا قلبٍ أو ضمير. إنّني لاحظت من تجاربي أنّ القاتل قلّما يقنع بجريمةٍ واحدةٍ.. وأنتً قد قتلت فتاتين.. الفتاة التي أحببتها. وفتاة أخرى عداها..

ـ هل تعنين «نورا برود»..؟ إنّها كانت بغيا بلهاء.. كيف علمت بأمرها..؟

ـ إنّني فهمت مما رأيت وسمعت، أنّك لا يمكن أن تقدمي على خنق الفتاة التي أحببتها وتشويه وجهها بتلك الطريقـة البشعة. ثم علمت أنّ فتـاة أخرى قـد اختفت في ذات الوقت ولم يعـثر على جثتها.. وهداني تفكيري إلى أنّ الجثة التي وجدت، لا بد أنّها كانت جثة «نورا برود» في ثياب «فيريتي هانت»... وأنّك عندما دعيت للتعرّف عليها.. أكّدت أنّها جثة «فيريتي هانت»..

ـ ولماذا أفعل أمراً كهذا..؟

ـ لأنّك أردت للشاب الذي أحبّ «فيريتي» وأحبّته.. أردت له أن يحاكم بتهمة قتلها.. ولذلك واريت جثة «فيريتي» حيث يتعذّر العثور عليها، وواريت جثّة الفتاة الأخرى في ذلك المكان المقفر، بعد أن شوهت وجهها، وألبستها ثياب «فيريتي»، ووضعت معها حقيبة «فيريتي» ورسالة أو رسالتين باسمها، وسلسلة ذهبيّة كانت تتحلّى بها.

ومنذ أسبوع، ارتكبت جريمة ثالثة.. هي جريمة قتل «إليزابيث تمبل»... قتلتها لأنّها جاءت إلي هذه المنطقة. ولأنـك خشيت أن

نكون قد تلقّت من «فيريتي» معلومات إذا ضمّت إلى ما يعلمه القس «باربازون» أمكن أن تظهر الحقيقة.

ولما كنت امرأة قوية، فقد أمكنك انتزاع ذلك الحجر من مكانه وإلقائه عليها.. ولا بد أن يكون ذلك قد كلّفك كثيراً من الجهد.. ولكنّك امرأة قوية.

فقالت «كلوتيلد»:

ـ نعم... ومن القوة بحيث أستطيع الإجهاز عليك.

ـ لا أظنّ أنّه سيسمح لك بذلك..

ـ ماذا تعنين أيتها العجوز الشمطاء الحقيرة..؟

ـ صحيح أنّني عجوز شمطاء لا حول لي ولا قوة ولكنّي أعتبر نفسي ممثلة للعدالة.

فضحكت «كلوتيلد» ساخرةً وقالت:

ـ ومن الذي يمنعني من الإجهاز عليك يا ممثّلة العدالة..؟

ـ ملاكي الحارس..

فضحكت «كلوتيلد» مرة أخرى وقالت:

ـ وهل لك ملاك حارس..؟

وأخذت تدنو منها. فقالت مس «ماربل»:

ـ بل ملاكان حارسان.. إنّ مستر «رافيل» يفعل كلّ شيءٍ دائماً على نطاقٍ واسع.

ومدّت يدها تحت وسادتها وأخرجت صفّارة رفعتها إلى شفتيها.. ودوّى الصفير في سكون الليل.. فحدث أمران في وقتٍ واحدٍ، إذ فتح الباب وظهرت مس «بارو» على عتبته..

وفي نفس اللحظة، فتح دولاب الملابس وخرجت منه مس «كوك»..

وتقدّمت المرأتان وعلى وجهيهما دلائل الجد.. وفي عيونهما نظرة تختلف تماماً عن تلك النظرات البريئة التي رأتها في عيونهما قبل بضع ساعات..

وهتفت مس «ماربل» قائلة:

ـ ملاكان حارسان.. لقد رفع مستر «رافيل» من قدري.. وجعل لي من الأهمية أكثر مما أستحق.

الفصل الحادي والعشرون

مس «ماربل» تروي قصتها

قال «وانستيد» للعجوز ذات الشعر الأبيض التي تجلس أمامه:

ـ متى اكتشفت أنّ المرأتين كانتا من الشرطة، وأنّهما ما اشتركتا في الرحلة إلّا لحمايتك..؟

* * *

كانتا تجلسان في أحد المكاتب الحكومية «بلندن» ومعهما أربعة أشخاص آخرون هم: أحد كبار الموظفين بمكتب المدّعي العام والسير «لويد» مساعد مدير «اسكتلنديارد»، والسير «أندريا ماكنيل» مدير سجن «مانستون»، أما الرابع فكان وزير الداخليّة.

وأجابت مس «ماربل»:

ـ لم أكتشف ذلك إلّا في الليلة الأخيرة، عندما حذّرتني مس «كوك» بوضوحٍ من تناول قدح القهوة، ثم عندما شدّت إحداهما على يدي وهي تهمّ بالانصراف ودسّت فيها الصفّارة التي استخدمتها فيما بعد.

ـ ألم تتناولي كوب اللبن..؟

ـ كلا طبعاً.. من تظنّني..؟

ـ مما يثير دهشتي... أنّك لم تغلقي باب غرفتك.

ـ لو أنّني فعلت لكان ذلك خطأً جسيماً.. لقد أردت أن تدخل

«كلوتيلد» غرفتي لأرى ماذا ستفعل أو تقول.. كنت واثقة أنّها ستأتي بعد انقضاء الوقت الكافي لتستوثق من أنّني شربت اللبن وفقدت الوعي.

- هل ساعدت مس «كوك» على الاختباء في الدولاب...؟

- كلا.. إنّني دهشت حينما رأيتها تخرج منه.. ويبدو أنّها توارت فيه عندما خرجت من غرفتي لأذهب إلى الحمام.

- وهل كنت تعلمين أنّها في داخل البيت..؟

- توقّعت بعد الصفارة أن تكونا في مكانٍ قريب، وأظنّ أنه لعلّهما فتحتا إحدى النوافذ من الداخل خلسةً عندما زارتا البيت في المساء. وأحدثتا جلبةً وهرجاً بلا مبرّر..

- إنّك عرضت نفسك لخطرٍ جسيمٍ يا مس «ماربل».

- لا يستطيع الإنسان أن يمضي في الحياة قدماً دون أن يتعرّض لأخطار.

- وبهذه المناسبة... إنّ فكرتك عن الطرد الذي أرسل بالبريد إلى الجمعيّة الخيريّة كانت صحيحة.. فقد وجد بداخله ذلك القميص ذو المربّعات الحمراء والسوداء. ولكن كيف طرأت لك هذه الفكرة..؟

- كان واضحاً من وصف «جوانا وأملين» للقميص أنّ الغرض من اختيار ألوانه الصارخة هو لفت الأنظار.. وكان من المهم والضروري أن يختفي هذا القميص تماماً بحيث لا يعثر له أحد على أثر.. وهل هناك طريقة للتخلّص منه أفضل من إرساله إلى إحدى الهيئات الخيريّة في مكانٍ بعيدٍ..؟

لقد بدت هذه الفكرة في ذهني حين رأيت «أنثيا» تحمل الطرد إلى مكتب البريد.

- ومتى بدأت ريبتك في «كلوتيلد»..؟

ـ حين قالت «إليزابيث تمبل» إنّ الفتاة ماتت بسبب الحب، وقال الأب «باربازون» إنّ «مايكل» كان مخلصاً في حبّه... وأنّ العاشقين لم يحضرا إليه في الوقت المحدد، لأنّ شيئاً أقوى من إرادتهما حال دون ذلك. وإنّ الموت قد يكون هو الحائل.. وحين رأيت أنقاض بيت الزهور في ركن الحديقة، تغطّيها تلك النباتات الطفيلية التي تقتل كل ما حولها ولا تترك على سجيّتها إلاّ لإخفاء منظرٍ يؤذي العيون.. ولاحظت ذعر «أنثيا» ورغبتها في الفرار من ذلك المكان.. ثم حين سمعت ما سمعت عن مدى حب «كلوتيلد» لربيبتها.. تبادر إلى ذهني على الفور أنّ ذلك الحب الأناني هو الحب الذي يمكن أن يقتل.. الحب الذي وصفته «إليزابيث تمبل» بأنّه يمكن أن يكون شيئاً مخيفاً.

ـ هل تعلمين ماذا حدث في تلك الليلة بعد انصرافك من البيت القديم..؟

ـ تعني ما حدث «لكلوتيلد»..؟ أعلم أنّها اختطفت كوب اللبن المسموم وتجرعته.

ـ هل كنت تتوقّعين ذلك..؟

ـ كلا... ولو كنت توقّعته لما استطعت أن أفعل شيئاً.. فقد اختطفت الكوب بسرعةٍ مذهلةٍ.. وتجرعته قبل أن يتمكّن أحد من منعها.. وأعتقد أنّها بذلك قد فعلت الأمر الطبيعي وأنّها كانت تتوق إلى الفرار من جثة «فيريتي» التي ظلّت تطلّ عليها من الحديقة وتعذّبها كلّ يومٍ طوال عشرة أعوام.

أجاثا كريستي

- **الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى ١٠٣ لغات**
- **بيع من كتبها أكثر من ٦٥٠ مليون نسخة باللغة الانجليزية وحدها .**

كاتبة روايات بوليسية ، ولدت في جنوب غرب انجلترا الأب أميركي وأم إنجليزية ، لكنها تقول «إني إنجليزية» ، تزوجت عام ١٩١٤ من الكولونيل أرشيبالد كريستي ، أنجبت منه إبنة متزوجة ، انفصلت عنه العام ١٩٢٨ ثم تزوجت في العام ١٩٣٠ من المهندس الأثري البريطاني ماكس مالوان ، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين ، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعا ، فرواياتها كبيرة متكاملة ، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائما ، لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصية في الرواية ، كما تميزت أيضا بأن أشخاص رواياتها أشخاص عاديون ، ولكنهم تعرضوا - في الرواية - لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان ، كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها ، عل عكس ما اتبعه الآخرون ، إنها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها م يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء ، ولم تهدف إلى الإثارة ، ول تلجأ إليها إلا إذا كان أبطال الرواية شبانا يطاردون الجواسيس أو يطاردون عصابات خطيرة ، كما تضمَّنت رواياتها أهداف إنسانية فحواها أن (الجريمة لا تفيد) وأن الخير هو المنتصر النهاية .

الثمن: ١٥٠ قرشا